مراجعات

ملحــق شهــري تصـدره وزارة الأوقــاف والشــؤون الدينيــة (العدد رقم: 92)

جمادى الأولى 1444هـ - ديسمبر 2022م

الصفحــة الأولــى...

هـلال الحجـري

واقـع الترجمـة في العـالم العربـي وآفـاقهـا (3)

الرافـد الثـاني الذي يُعين عـلى تحقيق الخُطة التـي لخصها وزراء الثقافة العرب في بغـداد، تأسـيس مراكز للترجمـة في كل الـدول العربية، تكـون بمثابة معمـل للكفاءات التـي أخرجتها مراكـز الإعـداد والتأهيـل. وكنـتُ سـأقترح تأسـيس مجمع عـام للترجمة تحـت مظلـة جامعة الـدول العربيـة، لـو أنّ الجامعة فاعلة وقـادرة على إدارتـه وتنفيذ اسـتراتيجياته، لكـن واقعها للأسـف مُحبط ولا يُبـشر بخـير. وقـد تأكـد أن المبـادرات القُطْريـة الترجميـة التـي تأسسـت في بعـض الـدول العربيـة أنشـط وأكـثر فاعلية من المبـادرات الأخـرى التـي ترعاها الجامعة أو المنظـمات الدولية؛ فالجهـود التي بذلها المركـز القومـي للترجمة في مـصر، ومشروع «كلمـة» في الإمارات العربيـة المتحدة، والمجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب في الكويـت، والمنظمـة العربيـة للترجمـة في لبنـان، والمركـز الوطنـي للترجمـة في تونـس، كلهـا جهـود مُهمّـة وإن كانـت تفتقـر للتخطيـط والتنسـيق. إذن، مراكـز الترجمـة المُعـوّل عليهـا في المـشروع الحضـاري التنمـوي هي مؤسسـات ينبغـي أن تكـون في كل قُطْر عـربي، وينبغي أن تكـون مـن أولويـات التخطيط الشـامل؛ تؤمن بهـا كل دولـة بكونها ركيزة أساسـية من ركائـز التنميـة وليسـت مجرّد تَـرَفٍ معرفي ينتقل مـن لغة إلى أخرى. وكونها مسـتقلة في كل دولـة لا يمنـع التنسـيق والتكامـل بينهـا؛ حتـى تكـون بمثابـة الروافـد التـي تُغـذّي النهـر الكبير وهـو الوطـن العربي.

أمـا الهـدف الثـاني الـذي نتوخّى مـن الترجمـة أن تُحققـه، بصفتهـا خيارا اسـتراتيجيا، فهـو التفاعـل البنّـاء مـع الشـعوب الأخـرى. وهـو هـدف يختـصر كل مـا نصبـو إليه من وصـول الثقافـة العربيـة إلى «الآخَر» وصـولا حقيقيا وآمنـا من الشـبهات التي اعتورت محـاولات المسـتشرقين، رغـم أهميـة بعضهـا، في نقـل الـتراث العـربي إلى اللغـات الإنجليزيـة والفرنسـية والروسـية والإيطاليـة والألمانيـة. منـذ ترجمة كتـاب «ألف ليلة وليلـة» في مطلـع القـرن الثامـن عـشر إلى الآن، فـإن مختـارات مـن الـتراث العـربي القديـم والأدب العـربي المعـاصر قـام بترجمتهـا مسـتشرقون أو مؤسسـات غربيـة أسـهمت في تكويـن صـور نمطيـة سـيئة عـن العـرب تختزلهـم في التخلـف والإرهـاب والشـهوانية وغيرهـا مـن الصور البائسـة.

فكتـاب «ألـف ليلة وليلة»، رغـم أثره الكبير عـلى الآداب العالمية وإسـهامه في تنوير أوروبـا وانتشـالها مـن عصـور الظـلام، اختـزل الثقافـة العربيـة في المخيـال العالمي في صـور نمطيـة كارثيـة مازالـت آثارهـا السـلبية حـاضرة إلى اليـوم تتمثـل في ثيمات «الرجـل الشرقـي» و«الجـواري» و«العبيـد» و«خيانـة النسـاء» وغيرهـا مـن الصـور التـي يعـاد نقلهـا مـن جيـل إلى جيـل عـبر الأدب والفـن التشـكيلي والسـينما. ورغـم أفـول عصر الاسـتشراق الكلاسـيكي، فإن الغرب اليـوم مازال يبحـث في ترجماته للأدب العـربي عن الأعـمال التي تنتهـك تابوهات الجنس والسياسـة والديـن، ويغض الطرف عـن الأعـمال الأخـرى التـي تعـبر عـن الثقافـة العربيـة الإسـلامية ومـا تتسـم بـه مـن سـعة في الأفق وسـمو في الروح وعمق في المعنى. ولا شـك أن هناك اسـتثناءات نزيهـة تخـرج عـن هـذا الإطـار، ولكنهـا تبقـى قليلـة ولا تأثير لها عـلى سَـلطة الخطاب الاسـتشراقي العام.

ومـن هنـا فـإن مشروعنـا الحضـاري في التنميـة ينبغـي أن يـولي اهتمامـا بالغـا بهـذه القضيـة؛ لأنـه لا يمكـن أن نـترك الآخـر ليُمثّلنـا حسـب هواه، بـل لا بد مـن توظيف نخبـة مـن المترجمـين العـرب يتمتعـون بالكفـاءة والدُرْبـة والأمانة في اختيـار الأعمال الفكريـة والأدبيـة التـي تعكـس الثقافـة العربية عـلى حقيقتهـا وتكسر إطـار الصورة النمطيـة السـيئة التـي تشـكلت حـول العرب والمسـلمين عـبر التاريـخ. هذا مـن ناحية، ومـن ناحيـة أخـرى فـإن تـرك ترجمـة الإنتـاج العـربي الفكـري والأدبي للغـرب فقـط هـو بَخْـسٌ للثقافـة العربيـة وحِرمـان للشـعوب الأخـرى مـن الاطـلاع عـلى هـذا النتـاج ومـا ينتـج عنـه مـن تثاقـف وتقـارب بـين الأمـم. ونحـن بمشروعنـا الحضـاري الترجمـي الـذي رسـمنا معالمـه نطمـح إلى كـسر الهيمنـة الغربيـة والمركزيـة الأورو-أمريكيـة وتجاوزهـا إلى لغـات العـالم الأخـرى التـي لا تقـل أهميـة عـن الغـرب مثـل الصـين واليابـان والهنـد وكوريـا وأفريقيـا.

ختامـا، ينبغـي أن نعـي أنّ الترجمـة ليسـت مجـرد وسـيلة لنقل المعـارف؛ وإنما هي ركيـزة لأي مـشروع تنمـوي شـامل يسـعى إلى تمكين الشـعوب مـن الإبـداع والابتكار والتأثـير العالمـي. والعـالم العـربي اليـوم في أمـس الحاجـة إلى توظيـف الترجمـة بمفهومهـا هـذا؛ خروجـا من المـأزق الحضـاري الذي نعيشـه.

hilalalhajri@hotmail.com

طرائق فلسفة الفلسفة كانط وميمون وشلنج في كيف نتفلسف في الفلسفة

يلشا شميد

السريالية في الفكر العربي

أرتورو موناكو

السؤال الانثروبولوجي

ميشيل فوكو

النظرية النقدية اليوم: حول حدود التقاليد الفكرية وارتباطها

تأليف جماعي

ثورات نقدية: خمسة نُقّاد صنعوا تغييرا في طريقة القراءة

تيري إيغلتون

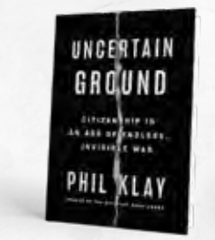

الأرض المضطربة : المواطنة في عصر الحرب غير المرئية

فيل كلاي

سلاسل التوريد الاقتصادية الدائرية: من السلاسل إلى الأنظمة

تحرير: ليديا بالس، ويندي ل. تيت وليزا م. إلرام

الاضطرابات: لفهم النظام الجديد للعالم

فرنسوا هولاند

الدير: بنديكت السادس عشر، تسع سنوات من باباوية الظل

ماسسيمو فرانكو

نادي الرفض: وضع حد لعمل المرأة المسدود

تأليف جماعي

قوة الندم: كيف يدفعنا النظر من الخلف إلى الأمام

دانيال بينك

إصــدارات عــالميــة جـديـدة

الصفحــة الأخيــرة

طرائق فلسفة الفلسفة: كانط وميمون وشلنج في كيف نتفلسف في الفلسفة

يلشا شميد

محمد الشيخ *

تتميز الفلسفة عن بقية المباحث الأخرى - إنسانيات وعلميات - بكونها، إلى جانب اختصاصها بالنظر في موضوعات مُعينة (الوجود، المعرفة، القيم ...)، ما تفتأ هي تؤوب الأوبة إلى نفسها ناظرة إلى ذاتها ومتسائلة عن أمرها: تُرى ما الذي تَكُونُه الفلسفة نفسها؟ أو ما طبيعة هذا المبحث الذي ندعوه «فلسفة»؟ تلك عَلِمْنَاهَا «فلسفة الفلسفة» أو «ما وراء الفلسفة»، أو إذا ما نحن استعرنا لغة الشيخ الرئيس - ابن سينا - تلك «فلسفة من الوضع الثاني» تأتي بعد «الفلسفة من الوضع الأول». والكتاب الذي بين أيدينا من الكتب القليلة التي خصصت للفلسفة من الوضع الثاني هذه. وموضوعه «فلسفة الفلسفة» التي يُرجَّح أن يكون الفيلسوف البولندي الأمريكي موريس لازيروفتش (1907-1987) أول من نحت مصطلحها عام 1940.

وصاحبة الكتاب فيلسوفة شابة درست الفلسفة والأدب الإنجليزي بجامعة بال (سويسرا). وفي عام ٢٠١٥ ختمت مسارها كطالبة باحثة بأطروحة عن الفيلسوف هايدجر والطب العقلي . وهو موضوع يكاد يكون غير مسبوق في حقل الدراسات الهايدجرية . ثم أمضت فترة أستاذة مساعدة في جامعة يال (أمريكا)، ومنذ بداية هذه السنة تشغل كرسي الفلسفة النظرية. والكتاب الذي بين أيدينا من أهم أعمالها، وقد صدر في طبعتين: ألمانية بعنوان «تجريب العقل: كانط وميمون وشلنج في ما وراء الفلسفة»، ثم طبعة إنجليزية بعنوان: «فلسفة الفلسفة: كانط وميمون وشلنج في كيف نتفلسف في الفلسفة» (٢٠٢٢). هذا وتهتم يلشا شميد بالفلسفة الكلاسيكية الألمانية، وبما وراء الفلسفة، وبالإبستمولوجيا، وبهوية الشخص، وبفلسفة التفاعل بين الذوات.

بداية، لا تدعي صاحبة الكتاب أن كتابها هذا تأريخ لفلسفة الفلسفة هذه، وإنما هو كتاب قائم على انتقاء نماذج تمثيلية عن هذا المبحث. ذلك أن الباحثة اختارت منذ البداية ثلاثة نماذج من الفلسفة المثالية الألمانية: إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) وسالمون ميمون (-١٧٥٣ ١٨٠٠). الذي يلزم تمييزه عن الفيلسوف اليهودي الوسطوي موسى بن ميمون . وشلنج (١٨٥٤ -١٧٧٥). وذلك على أساس أنَّ هؤلاء الثلاثة ساهموا إسهاما جليلا في البحث عن حل منهجي لمشكلة السعي إلى جعل الفلسفة النظرية علمًا.

وللتذكير، فقد سعى الفلاسفة المثاليون الألمان إلى طرد الاعتباطية والهوى والذاتية والفردانية من رحمة الفلسفة باعتبار تلك شرورا مستطيرة، وكان مبتغاهم ما عبَّروا عنه بالعبارة: «الرقي بالفلسفة إلى مقام العلم». والحال أن محاولات الفلاسفة المثاليين الألمان تقدم نفسها باعتبارها متميزة عن كل المحاولات التي سبقت في مضمار «الفلسفة التأملية». ويكمن وجه التميز في ما ارتأته هذه المحاولات من ضرورة الرقي بشأن «الفلسفة» إلى مستوى «العلم» الحق؛ بل إلى مستوى «علم العلم» و«العلم المطلق». وقد عمد فيشته (١٨١٤ -١٧٦٢) إلى فتح الباب أمام تابعيه من المثاليين الألمان، وذلك بعد أن فصل فصلا بين فلسفة سائدة . نعتها بأنها «غير علمية» . وأخرى مأمولة أثنى عليها بوسم «العلمية»: الأولى، عنده، من بقايا الماضي المختلف، والثانية، في اعتباره، سليلة المستقبل المؤتلف. وهو باب عد من أهم «أماراته» التخلي التدريجي عن لفظة «الفلسفة» اليونانية المثقلة بماضيها الخلافي؛ حيث المدارس المتباينة والمذاهب المتخالفة، والاستعاضة عنها بما يفيد صفة «العلمية»؛ أي بما يفي بمطالب «الوحدة» و«الدقة» و«الصرامة المنطقية». ولَئِنْ كان فيشته قد سعى إلى التخلي عن لفظ «الفلسفة» البالية هذا، فإنه استعاض عنه بالعبارة: «نظرية العلم» أو «مذهب العلم». ولعل هذا التحول في اسم «الفلسفة» ما كان بالأمر الناتج عن رغبة الفيلسوف في ابتداع المولّدات من الألفاظ، جريا على عادة الفلاسفة في الاستعاضة عن اسم «الفلسفة» باسم «الحكمة» أو «المعرفة الحقة» ... وإنما هو أمارة على تحول دلالي عميق في تصور الفلسفة لذاتها من حيث هي خطاب عقلي. وهكذا، ففي رسالة وجهها فيشته إلى الفيلسوف الكانطي راينولد بداية عام ١٩٧٤ أفصح صاحب «مذهب العلم» عن هذه الرغبة إفصاحا فقال: «إن الناظر إلى حال الفلسفة اليوم ليأسف على كونها لم تصر بعد علما. وإن يقيني ليزداد يوما بعد يوم بأنه بإمكانها أن تصير كذلك؛ بل لعلي لا أجانب الصواب إذا قلت بأنها سوف تصبح لا محالة عما قريب علما كامل العلمية». وهذا شلنج نحا بالفلسفة إلى حيث نحا فيشته فحملها على وجه أن تصير علما مكتمل العلمية؛ إذ كثيرا ما خلع عليها صفة «العلم» ومشتقاتها: قال عنها إنها «علم العلم»، وإنها «العلم بإطلاق»، وإنها «علم ذاتها» ... وما زال ينعتها بهذه النعوت حتى قال عنها: إنها «العلم اللانهائي»، و«العلم المطلق»، بل و«أشرف العلوم». وما اختلف المقصد عنده بهذه النعوت عما تغياه فيشته بالعلم الفلسفي؛ أي جملة القول العقلي الكلي النسقي. وعنده أن في الفلسفة، من حيث هي العلم الحي، كل قضية الشأن فيها أن تصير مبطلة في ذاتها إن هي عزلت، وألا تكتسب صحتها اللهم إلا في طار حركة تولدها؛ أي في صلتها ببقية القضايا الفلسفية الأخرى المتعالقة بها والتي يأخذ بعضها برقاب بعض على سبيل سلسلة التضام العِلّي السببي.

على أن مؤلفة هذا الكتاب تقر بأنه في أيامنا هذه تم هجر مشروع «إضفاء الطابع العلمي على الفلسفة» من لدن معظم الفلاسفة، وهو الأمر الذي ما كان ليخطر ببال فلاسفة المثالية الألمانية قطعا. بل تذهب المؤلفة إلى أنه في ضوء ثورات العلم الحديث، طفق الفلاسفة الألمان في الشعور بالضغط عليهم لإنقاذ المنزلة العلمية لمبحثهم، ومن كتاب نقد العقل الخالص (١٧٨٧/١٧٨١) فصاعدا، يمكننا عبر فلاسفة المثالية الألمانية رسم صورة عن الجدل الذي احتدم حول طبيعة الفلسفة النظرية وما الذي يلزمها أن تكون عليه وما هي مواصفاتها داخل جملة العلم الحديث.

وتنحت الباحثة لفظا غريبا بعض الغرابة، بل إنه حتى الأذن الغربية المعتادة على المولدات قد تَمُجُّهُ، وهو لفظ «ما وراء الفلسفة - الأولى»، تَعُده برنامجا علميا يقف في أصل هذا الكتاب؛ وتعني به انهمام فلاسفة ألمانيا المثاليين، بدءا من كبيرهم كانط، بالفلسفة للفلسفة، وانشغالهم بالفلسفة في الفلسفة. وما يؤلف بينهم ولا يفرق إنما هو رؤيتهم التي تشاطروها والتي تذهب إلى أنه يتعين على جملة الفلسفة

أن تُستَهل باستقصاء فلسفي حول ما الذي يتعين أن تكون عليه الفلسفة من حيث ما هي علم. وههنا يتم النظر إلى مبحث «ما وراء الفلسفة» لا بحسبان كونه فرعا من فروع الفلسفة شأنه النظر في النظريات الفلسفية نفسها، أو في الفلسفة عينها، وإنما باعتبار «ما وراء الفلسفة» مبحثا أساسيا يتعين على سائر مباحث الفلسفة الأخرى، أكانت هي نظرية أم عملية وصنفت هي بأي تصنيف كان، أن تجد تأسيسها في هذه القاعدة وأن تلقى تسويغها في هذا المبحث.

ثم تتقصى الباحثة عبر فصول الكتاب الثلاثة الخيط الناظم هذا بدءا من منبعه كانط، وتثنية بالفلسفة المثالية الألمانية (ميمون وشلنج)، حيث تتبدى لنا بألوان مزركشة طرائق فلسفية لتصيير الفلسفة علما. وتقف المؤلفة في هذا الكتاب لانتقاء ثلاث طرائق، اقترنت بثلاثة فلاسفة، بدت لها هي الأهم: ما تسميه «طريقة كانط التمهيدية». وتخصص لها الفصل الأول. وما تدعوه «طريقة ميمون في التخييلات». وتفرد لها الفصل الثاني. وما تسمه بوسم «طريقة شلنج في بناء الطبيعة». وتتناوله في الفصل الثالث.

وما يوحد برامج هؤلاء الفلاسفة الثلاثة، بالقياس إلى برامج أخرى منافسة، إنما هو تَوَحُّدُ هؤلاء الفلاسفة في إيمانهم «الما وراء فلسفي» بأن الطرائق الفلسفية المستعملة للجواب عن أسئلة «فلسفة الفلسفة» يلزم أن تتطور في تعالق مع طرائق العلوم. فكما أن العلوم الحديثة حققت «ثورة علمية»، فقد سعى كل من كانط وميمون وشلنج إلى تجاوز الفلسفة «التأملية» «غير العلمية» السائدة في زمانهم، وذلك نحو «ثورة منهجية» في الفلسفة. وبما أن «التجريب» كان هو الفيصل في الثورة العلمية، فإن هؤلاء الفلاسفة دعوا إلى التجريب في الفلسفة حتى تتبين الفلسفة الحقة «العلمية» من الفلسفة البهرج «غير العلمية».

في فصل تمهيدي، تقدم المؤلفة مدخلا إلى مبحث «ما وراء الفلسفة» تبين فيه أن هذا المبحث يجد أصله في سياق فلسفة كانط بمعناها الواسع، ثم توجز القول في كيف ظهر برنامج ما وراء الفلسفة لكانط وكيف اتبعه تلامذته. وفي فصول هذا الكتاب الثلاثة تعرض المؤلفة إلى ما سمته «فلسفات الفلسفة» عند هؤلاء، تلك الفلسفات من الوضع الثاني التي «تنتمي سائرها إلى نفس الأسرة» من برامج البحث؛ لأن رؤى هؤلاء الثلاثة في شأن طريقة ما وراء الفلسفة تتمثل في ثورة التزام شديد بالنظرية والممارسة العلمية التي كانت سائدة في زمنهم؛ إذ ما من فيلسوف منهم إلا سعى إلى تطوير طريقة خاصة بفلسفة الفلسفة.

في الفصل الأول الذي خصصته لكانط، ترى المؤلفة أن أطروحة كانط الأولى تذهب إلى القول بأنه ليس يوجد تصور ميتافيزيقي يستحق أن يسمى تصورا «علميا». ولهذا الداعي، سعى هو إلى تطوير فلسفة جديدة، فلسفة فلسفة، تكون مقتدرة على تحديد ما الذي يتعين

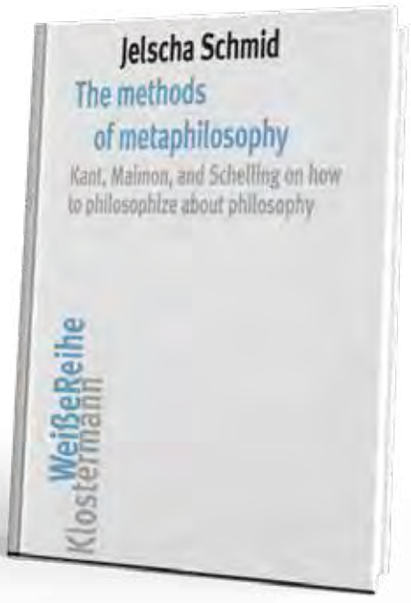

على ميتافيزيقا علمية أن تكونه. هو ذا مشروع نقد العقل الخالص عينه. وقد أرسى كانط دعواه على ثلاث مقدمات: ١ - العلم ممكن ومتحقق معا حسب ما شهد عليه قيام المنطقيات والرياضيات والطبيعيات، ٢- لا زالت الميتافيزيقا لم تصبح بعد علما، ٣- تأسيسا عليه؛ لا زالت الفلسفة العلمية غير متحققة، ويتوجب على الفلسفة أن تشرع في البحث عما إذا كان من الممكن بالنسبة إليها أن تغدو علما. هو ذا أساس مشروع كانط الذي لا تعتبره الباحثة تأسيسا لفلسفة جديدة بقدر ما هو، على الحقيقة، «تمهيد للفلسفة». وشأن الفلسفة التمهيدية هذه أن تفحص شروط إمكان قيام معرفة قبلية بغرض أن تقتدر على تحديد شروط إنشاء ميتافيزيقا علمية. بمثل هذه الأفكار دشن كانط برنامج بحث خاص يؤلف بين مسألة العلمية في الفلسفة النظرية ومسألة منهجية فلسفة الفلسفة. وهو ما يسمح - في نظر المؤلفة - بتأويل جديد لتعالقات فلسفة كانط بأخلافه: راينولد ومنهج التفكر، ميمون ومنهج التخييلات، فيشته ونظرية العلم الاستنباطية، شلنج ومنهج البناء الفلسفي، ولربما حتى هيجل ومنهجه الجدلي ... على أنه في هذا الكتاب، تؤثر الباحثة الاكتفاء بثلاثة نماذج تعمّق البحث فيها: طريقة كانط التمهيدية، وطريقة ميمون التخييلية، وطريقة شلنج البنائية. وتدافع الباحثة عن فكرة أن طريقة كانط التمهيدية إنما تبناها ميمون وشلنج؛ وذلك بحيث يمكن اعتبار فلسفة الفلسفة، عندهما، نسخا مستملاة فكرتها من برنامج بحث كانط؛ على ما بين برامج البحث الثلاثة من تباين لوينات.

وفي الفصل الثاني الذي خصصته إلى ميمون: هذا الذي يذهب مذهب كانط في السعي إلى إرساء قواعد منهج جديد يلائم ملاءمة خاصة مهمة استقصاء المعرفة الفلسفية العلمية، لكن على خلافه يرى أن استعمال التخييلات هو القمين بتحقيق ذلك. وهو يقصد بطريقة التخييلات طريقة في التخمينات والافتراضات، لأن الفلسفة تبقى عنده مسعى تخمينيا افتراضيا، وذلك وفق المنهج «الأرأيتي»: أرأيت لو أنه حدث كذا ما الذي يلزم عن حدوثه؟ وهكذا، عن طريق الفروض واختباراتها يمكن للفلسفة أن تصير علما.

وفي الفصل الثالث، تركز الباحثة على طريقة شلنج التي تسميها باسم طريقة بناء الطبيعة. ذلك أن منهجه سعى أيضا إلى تطوير تمهيد فلسفي مناسب لتأسيس علم فلسفي بوسمه «علم العلم». على أنه، وعلى خلاف كانط وميمون، حمل على عاتقه مسعى إيجاد طريقة تمهيدية لا تكون مقتدرة فحسب على درك الشروط الأساسية (كانط) أو الشروط التخمينية المتولدة (ميمون)، وإنما أكثر من ذلك تقتدر على درك مبادئ العلم غير المشروطة؛ أي المطلقة. وعلى خلاف الفيلسوفين السابقين الذين وجدا أنموذجهما في الرياضيات، أكانت جبرا هي أم كانت هندسة، فإن شلنج وجد أنموذجه في علم الطبيعة. إذ ذهب إلى أنه يلزم فلسفة الفلسفة المبتغاة أن «تبني» الطبيعة نفسها بناء، وذلك بفرضها افتراضا مطلقا بمثابة الفكرة الناظمة للطبيعة؛ وتأسيسا عليه يتم استكشاف الظواهر الطبيعية واختبارها الاستكشاف الموصول والاختبار الدائم.

تختم المؤلفة كتابها بالتأكيد على أن برامج كل من كانط وميمون وشلنج في شأن فلسفة الفلسفة إنما هو عبارة عن «تنويعات» على ما تسميه «تجريبات العقل». ذلك أنه لكي تصير الفلسفة فلسفة حقا، يتعين عليها، حسب كانط وميمون وشلنج، أن تخوض في مغامرة تجريبات، وذلك بالقيام بأنشطة تتيح لها توليد مسائلها وحلها؛ بمعنى أنه على العقل، إذا ما نحن عبرنا عن الأمر بلغة الميتافيزيقا، أن ينخرط في التجريب على ذاته. وفقط لما هو يستعمل طريقة بهذا النحو يمكنه أن يأمل في بلوغ مأمن مسار العلم. ذلك أنه لكي تمسي الفلسفة علما، يتوجب عليها أن تبدأ بتجريبات للعقل.

الكتاب: طرائق فلسفة الفلسفة كانط وميمون وشلنج في كيف نتفلسف في الفلسفة

المؤلفة: يلشا شميد

دار النشر: كلوسترمان

سنة النشر: 2022

* أكاديمي مغربي

السريالية في الفكر العربي (1938-1970)

أرتورو موناكو

عزالدين عناية *

يندرج الكتاب ضمن مجال دراسات سوسيولوجيا الأفكار، ويعالج تحديدًا قضية ظاهرة السريالية من حيث الظهور والتطور والتفاعل في الفكر العربي، في مصر وسوريا ولبنان. يُحدّد المؤلف الإطار الزمني للبحث (1970-1938). كما يضبط المؤلف الحيز المكاني المنحصر بالبلدان المشرقية الثلاثة المشار إليها. وقد جاءت السريالية العربية صدى للحركة الأم التي دشّنها الفرنسي أندريه بريتون (1896-1966)؛ إذ شهدت الحركة أول ظهور لها في مصر في ثلاثينيات القرن الماضي، ثم شملت بلدانا أخرى مثل سوريا ولبنان والعراق، لتمتدّ لاحقاً إلى بلاد المغرب.

وزّع الباحث كتابه إلى أربعة محاور رئيسة وهي: التجليات الأولى للسريالية العربية؛ والسريالية في مصر بين النزعة الفرنكفونية والنزعة العروبية؛ والسريالية في سوريا كتجربة معزولة؛ والسريالية في لبنان من الترجمة إلى إعادة الصياغة؛ هذا فضلاً عن مقدمة ضافية وخاتمة للكتاب.

يطرح المؤلّف سؤالا ضمن الباب الأول وهو هل السريالية مستوردَة أم هي نتاج تفاعل داخلي؟ ثم يشرح أنّ التيارات الثقافية الغربية قد شغلت الحركة الفكرية العربية، وكانت عاملا مؤثرا في بنية جملة من الأعمال وفي مضامينها. ولا ينفي هذا وجود توجّهات ومدارس فكرية عارضت الأنماط الدخيلة والمستورَدة، وكانت ترتئي أنّ الفكر العربي الحافل بتاريخ طويل وثري هو في غنى عن التحوّل إلى تبيع ومقلّد لتقليعات وافدة. والواقع أنّ الفكر العربي في الفترة التي تناولها البحث بالدراسة كان فكر مثاقَفة مع الغرب، وليس فكر اتّباع أو انجراف نحو الغرب. صحيح عرف العرب تيارات أخرى سابقة ونهلوا من مناهجها ومضامينها، ولكنّهم لم يتماهوا معها إلى حدّ نسيان هويتهم الثقافية أو التنكر لها. وعلى هذا الأساس ذهب مؤلف كتاب «السريالية في الفكر العربي» إلى أنّ طبيعة العلاقة التي سادت هي علاقة تفاعل وتثاقف وليست ذوبانا أو إمّحاء، وهو تقريبا المسار العام الذي طغى في أوساط رواد السريالية الأوائل. بعد المحور التمهيدي العام الذي انطلق برصد بدايات ظهور السريالية في الأوساط الثقافية العربية. تلاه محور لاحق تناول ظهور السريالية في مصر وتطوراتها، ترافقت مع أجواء بدأ يسري فيها حسّ التحرّر من ربقة الغرب وانتشار الحسّ القومي، وهو ما جعل السريالية تغدو مصنَّفة ضمن التوجهات الثقافية الأجنبية المناوئة لمسار التحرّر.

حاول الكاتب في مستوى أول تتبّع حركة «الديوان»، ثم تيار الرمزية مع اللبناني سعيد عقل (١٩١١- ٢٠١٤)، والتنظيرات المبكرة حول السريالية في العالم العربي، مع استعراض المساهمات الأولى لمصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠- ١٩٣٧) بوصفه أحد رواد الرمزية المنفتحين على التيار السريالي، حيث يضعه المؤلف في منزلة وسطى بين الرمزية والسريالية. كما يركز مؤلف الكتاب على فترة الثلاثينيات من خلال تتبّع آثار الحركة في الوسط الكوسموبوليتي السائد حينها في مدينتيْ القاهرة والإسكندرية، سواء جراء الجاليات الأوروبية المقيمة أو جراء الوافدين العرب من شتى أصقاع البلاد العربية. فقد تعزّزت الموجة السريالية، وفق ما يذهب إليه الباحث، بانشغال مجلّات مصرية مهمّة في تلك الحقبة بالموضوع على غرار «مجلة الرسالة» و «مجلة التطور» و «المجلة الجديدة»، لتبلغ الحركة نضجها بظهور المؤسس الفعلي للحركة السريالية في مصر جورج حنين (١٩١٤- ١٩٧٣). وضمن هذا المحور يُبرز الباحث دور النخبة الفرنسية المقيمة في مصر، في دعم هذه الحركة وفي تحول السريالية من موجة فرنكفونية إلى ظاهرة محلية.

في الباب الثالث المخصَّص لسوريا، يحاول الباحث التركيز على الواقع الثقافي السوري، وعلى العزلة التي ميزت السريالية السورية، من خلال التعرض لأورخان ميسر وتنظيراته المبكرة، والنزعة السريالية في الفكر والأدب والفلسفة، ولا سيما في كتاب «سريال». ثم ينتقل الباحث إلى الحديث عن علي الناصر (١٨٩٦- ١٩٧٠) رفيق أورخان. يستعيد الباحث مجموعة من أعمال أورخان والناصر ويترجمها إلى الإيطالية ثم يقوم بتحليلها مستحضرا الأوضاع الاجتماعية التي ألّمت بالصياغة. تعود قلّة المواضيع والقضايا المطروحة في هذا المبحث إلى شحّ المعلومات عن هذه الفترة، بحسب تبرير الباحث. ونشير إلى أن المحور المخصَّص لمصر أتى أثرى وأشمل من المحور المخصص لسوريا.

فحين كتب أندريه بريتون «مانيفستو السريالية» أو «البيان السريالي» (١٩٢٤) عرّف السريالية بكونها تقوم على التلقائية النفسية التي يُعبّر من خلالها الفرد عمّا يختلج في داخله، سواء قولا أو كتابة أو بأي شكل آخر، عن كيفية اشتغال الفكر في غياب أي رقابة عقلية وبعيدا عن أي هواجس جمالية. وبوصف السريالية العربية قد قامت على عناصر أساسية منها إعلاء شأن اللاوعي بمدلوله النفسي؛ وتبني مبدأ الحرية بكون الكاتب ثائرا على الجمود؛ والتلقائية حيث الإبداع هو تداع حر غير منضبط بضوابط شكلية؛ واللامعقول حيث الإقرار بعدم قدرة العقل على تلبية حاجات الفعل؛ والحلم بعوالم تتخطى الزمان والمكان؛ والإيجاز وكثافة العبارة. على هذه الأساسات حاول أرتورو موناكو إبراز المدى الذي وصل إليه الفكر العربي في الوفاء للمحددات الأولية وفي صنع مختلف الإضافات. وبالتالي شكّل السؤال المحوري لكتاب موناكو: كيف تجلّت السريالية في الفكر العربي؟

في واقع الأمر، لأول مرة يَصدر كتابٌ في إيطاليا يتناول علاقة الفكر العربي بالحركة السريالية. وأما في البلاد العربية فالمؤلفات في الشأن قليلة. ولهذا يُعَدّ الكتاب، ضمن المنشورات الإيطالية المعاصرة، متفرّدا في دراسة أحد المواضيع ذات الصلة بالفكر العربي، وإحدى المغامرات الجادة والموفقة للباحث، لسببين أساسيين: أنّ جلّ المنشورات الجادة والعلمية التي أُعدّت في إيطاليا قلّة منها اعتمد أصحابها المصادر العربية ولهذا مثّل هذا المؤلف إنجازا متفردا؛ أنّ الباحث موناكو لم يرتهن للمقولات القائمة على أحكام مسبَقة، أو مستوحاة من قراءات سالفة، بل غامر ببناء بحث يقوم على استقلالية منهجية ورؤية مستقلّة رغم أن الأمر مغامرة شائكة لباحث مبتدئ.

وفي ضوء ذلك نرصد في الكتاب إحاطة موفقة للباحث بالمدرسة السريالية في تمظهراتها الغربية، واطّلاعا جيدا على الكتابات العربية، وهو ما خوّل له إدراك التمثل العربي (في حدود كتّاب البلدان الثلاثة التي انحصر بها البحث)،

ومن ثَمّ متابَعة مظاهر الاتصال والانفصال عن التيار السريالي العام سواء منه الناطق بالإنجليزية أو الناطق بالفرنسية.

وبشأن الأعمال العربية ذات الطابع السريالي ثمّة كمٌّ من الأعمال لا بأس به، وأما بشأن الأعمال الدراسية ذات الطابع التحليلي والنقدي والتأريخي فهي قليلة، وفي مجملها دراسات ومقالات منشورة في مجلات. لكن نجد بعض الكتب في الشأن مثل كتاب سمير غريب «السريالية في مصر»، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ وكتاب مصطفى الجوزو «مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية»، دار الأندلس، بيروت؛ وكتاب أدونيس (علي أحمد سعيد) «الصوفية والسريالية» دار الساقي، بيروت؛ وبحث جورجي حليم سلهب «السوريالية الفرنسية ومجلة شعر»، رسالة دكتوراه جامعة القديس يوسف بيروت ١٩٨٠؛ وكتاب هادي عبد الجواد «فرار بربري: الكتاب المغاربة والسوريالية»، منشورات «لي مان سيكرات: نيويورك تونس ١٩٩٨ (بالفرنسية).

ولعلّ الإضافة المهمّة لكتاب أرتورو على المستوى الغربي، وهو إنجاز دراسة علمية حول موضوع قلّ التطرّق إليه في الدراسات الغربية بشأن الفكر العربي المعاصر، بما يغطّي نقصًا واضحًا في الدراسات الغربية، التي عادة ما تركّز على مواضيع حصرية. الكتاب يكشف عن قدرات لدى الباحث، وهو ما ينبئ بمولد باحث مقتدر في الدراسات العربية يتميز بنظرة شاملة ويمتلك أدوات مقدّرة للبحث العلمي. نشير إلى أنّ المؤلّف ينتمي إلى جيل المستعربين الإيطاليين الجدد (من مواليد ١٩٨٨)، وهو باحث شغوف بالدراسات العربية الحديثة.

اعتمد الباحث في مؤلفه بشكل بارز على مرجعية عربية ثرية في الموضوع، ودُون اللجوء إلى الترجمات أو التعويل على مقول الآخرين في اللغات الأجنبية. وهو يفصح عن قدرة صاحب الكتاب في التحكم بمادة البحث. فقد شكلت المرجعية العربية القسم الغالب من مراجع الكتاب، وهي مرجعية أصلية تعود إلى رواد السريالية ومشايعيها في الفكر العربي. فقد حاول أرتورو موناكو متابعة ما كُتب في السريالية وما كتب عنها في اللسان العربي، وهي متابعة مزدوجة أثْرت البحث.

حاول الكاتب مراجعة الأعمال المدونة بالعربية وبغير العربية (الفرنسية على سبيل المثال) لمجمل الكتّاب المعتمَدين في الرسالة، وعوّل على إمكانياته في العربية في المجال. وأمّا المراجع المعتمَدة في الكتاب والمدوّنة باللغات الأوروبية فقد جاءت ثانوية، لغرض الشرح والتوضيح أو الإضافة. وتناهز المصادر العربية المعتمَدة في بناء نص أرتورو موناكو الثلثيْن.

لم أقف لدى الكاتب في نصّه على نزعة مركزية، ولم أرصد

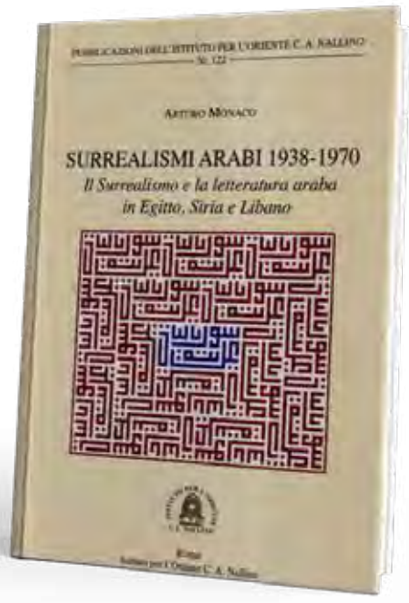

لديه تمركزا حول الحضارة الغربية أو نزعة استعلائية، سواء كان ذلك بشأن الفكر العربي أو في ما تعلق بالثقافة العربية بوجه عام. وقد اعتمد في دراسة الموضوع منهجا تاريخيا تحليليا بالأساس. حاول الإتيان على مختلف العوامل السياسية والاجتماعية التي صنعت الظاهرة السريالية في الثقافة العربية، ولكن تلك المقاربة التاريخية لم تكن الناظم الرئيس للبحث، بل أردفها المؤلف بمنهج تحليلي للنصوص والوقائع. فقد كان غالبا ما يورد النصوص العربية ويشفعها بترجمة إيطالية ثم يشتغل على تفكيك تلك النصوص والغوص في أبعادها ومعانيها. ويمكن القول إنّ الباحث قد وفّق عموما في المنهج المعتمَد، حيث لم يغرق في الإسقاطات، ولم يتقوّل على الكتّاب والمفكرين الذين أدرجهم ضمن تيار السريالية. إذ عوّل موناكو في بناء نصّه على استعراض السِّير الذاتية للكتّاب العرب المعتمَدين وللمؤثرات العائلية والتكوينية والمحيط الدراسي، ثم أردف ذلك بتحليل مختارات النصوص.

عموما بدأت السريالية العربية صدى لتيار غربي، وربما لم يفطن فيه مشايعو هذا التيار إلى الروافد الشرقية لجذور تلك المدرسة العميقة. والكاتب أرتورو موناكو نفسه اعتبر السريالية نتاجا غربيا ولم يكلّف نفسه عناء البحث في أصول تلك المدرسة، ولعل ذلك التناول المنقوص لو أُدرج لأضفى على الكتاب رونقا آخر. وبوجه عام يبدو الكاتب ملمًّا بالنصوص المعتمَدة، ولا ينقصه بناء خلاصة عامة ضمن مسار الفكر العربي المعاصر. وربما من المآخذ التي نسجلها على الكتاب وهي محاولة المؤلف حشر أصناف متباعدة من النصوص تحت مسمى السريالية.

بحوزة المؤلف إلمام جيد باللغتين الإيطالية والعربية، وهو ما يسّر له بناء بحث علمي متكامل من حيث المضمون والمنهج ومتابعة للنصوص المتصلة بالموضوع. إذ يكشف النص عن قدرة صاحبه في الإلمام بالمصطلح الفكري العربي، ناهيك عن إلمامه الجيد بموضوع السريالية ضمن السياق الغربي. وهو ما خوّل له ترجمة العديد من النصوص سواء ما أدرج منها حرفيا في متن الكتاب أو ما استوحى منها الكاتب الدعم لأطروحته ترجمة جيدة. كما أن الكتاب موزَّع بشكل واضح من حيث الإطار الزماني والمكاني للموضوع، ونقدّر أن المؤلف قد أوفى البحث حقه من خلال الالتزام بالعنصرين المذكورين. وبوجه عام لغة الكاتب الإيطالية هي لغة باحث واثق من قدراته المعرفية واللغوية.

من جانب آخر شمل الكتاب ثلاثة فهارس لا غير: فهرس عام بيّن فيه مواد الكتاب، تلاه فهرس ضمّ بيبليوغرافيا علمية شملت مراجع عامة ومتخصصة تعلقت بالثقافة العربية، أتت بالعربية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية؛ فقد أسعفت الباحث القدرة على الاطلاع على النصوص مباشرة في الإحاطة بموضوع بحث ومادة علمية متناثر أغلبها بين المجلات وفي ثنايا المقالات. كما ضمّ الكتاب فهرسا للأعلام أردفه بفهرس بديل إضافي ألحقه بالكتاب نظرًا لتسرّب أخطاء للفهرس الأصلي. وربما ما منع الكاتب من إضافة فهرس للمصطلحات الواردة في الكاتب، اعتماده إيراد المصطلحات وشرحها سواء ضمن النصوص المترجمة في متن النص أو في الهوامش التي أضافها لكتابه.

عادة ما تلقى الكتب الصادرة عن «معهد الشرق كارلو ألفونسو نللينو» في روما صدى طيبا، وهو ما حظي به كتاب أرتورو موناكو. فقد لقي الكتاب صدى إيجابيا في الأوساط المعنية بالثقافة العربية في إيطاليا، حيث تم عرضه في المعهد المذكور وغيره من المؤسسات، كما تولته بعض المجلات بالعرض والمناقشة.

استطاع المؤلف أن يلمّ بمسارات الكتابة السريالية في الزمان والمكان المحدّدين. وعمله هو بالواقع دراسة رصينة ومعمَّقة حول موضوع في الفكر العربي غالبا ما جرى التطرق إليه بشكل جزئي، ولم يصدر عملٌ بهذا الشمول يتناول الظاهرة السريالية.

الكتاب: السريالية في الفكر العربي.

تأليف: أرتورو موناكو.

الناشر: منشورات «معهد الشرق كارلو ألفونسو نللينو» (روما) «باللغة الإيطالية».

سنة النشر: 2021.

عدد الصفحات: 306 ص.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

السؤال الانثروبولوجي

ميشيل فوكو

سعيد بوكرامي *

ما الإنسان؟ سؤال شغل ميشيل فوكو، في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وكان جزءًا من مُحاضراته في جامعة ليل والمدرسة العُليا، حاول من خلالها فهم كيفية تقاطع هذا التساؤل مع الفلسفة وما يدور حولهما من أفكار ومفاهيم تعود إلى عصر الأنوار. تشكل هذه المحاضرات مخطوطة نادرة وهي النسخة الكاملة، التي نشرتها لأول مرة دار غاليمار ودار سوي ومنشورات المدرسة العليا في العلوم الاجتماعية بباريس، في إطار إحياء تراث عظماء فلاسفة القرن العشرين.

يكشف فوكو في الفصل الأول: لماذا ظلت الفلسفة الكلاسيكية مع (ديكارت، مالبرانش، ليبنيز) صامتة عن هذا السؤال، فمنعت فكرته اللامحدودة عن «طبيعة» الإنسان من إقامة علاقة مباشرة مع حقيقته وجوهره. أما الفصل الثاني، فيخصصه لما حدث بعد الانقلاب الكانطي، ولمفهوم الإنسان الذي صار نقطة جاذبية للفلسفة الحديثة، من فيورباخ إلى ديلثاي مروراً بهيغل وماركس، وبذلك أصبح هذا الإنسان الحقيقي ينشر عالماً من المعاني والممارسات ويكشف بفكره وممارساته عن جوهره الحقيقي. في الفصل الثالث، يصف فوكو انفجار الجهاز الأنثروبولوجي عند نيتشه – مستعرضا جوهر الفكر الديونيسي عن محو الإنسان الذي يعد بخبرات مأساوية عن الحقيقة. للمرة الأولى والأخيرة، نجد فوكو يقدم عرضًا طويلًا ودقيقًا وقويًّا عن فلسفة نيتشه.

في الصفحات الأولى من كتابه «الكلمات والأشياء» الصادر عام ١٩٦٦، تساءل فوكو عن «هذا الشكل الغريب للمعرفة الذي يُدعى الإنسان؟» إذا كان السؤال يبدو مثيرا للاهتمام، فمن الواضح أنه موجود أيضًا في فكر فوكو منذ وقت مبكر جدًا. ويظهر في المنشور المعنون بـ «السؤال الانثربولوجي» المستند إلى المحاضرات التي قدمها فوكو في المدرسة العليا خلال العام الدراسي ١٩٥٤-١٩٥٥، و ألقاها أيضًا في جامعة ليل، وكلها تصب في دراسة الإنسان وطرق المُقاربات التي قامت بها للأشكال المختلفة للمعرفة.

يُبين السؤال الأنثروبولوجي أولاً وقبل كل شيء أن فوكو لم يؤسس مقدمات المنهج الأركيولوجي الذي سيكوّن أسس كتابه الهام «الكلمات والأشياء»، الذي اعتمد على البعد الاستطرادي للأرشيفات المختلفة. من جهة، إن تطبيق رؤية غائية على شخص أصر دائمًا على القطائع والحالات الطارئة لن يكون بلا إثارة للأسئلة والإشكالات. ومن جهة أخرى، تشكل هذه المحاضرات مادة مهمة لفهم الطريقة التي اشتغل بها فوكو فكرياً خلال الخمسينيات، حتى وإن لم نجد صراحة في السؤال الأنثروبولوجي علاقات القوة التي تحافظ على تماسك الأشكال المختلفة للمعرفة فيما بينها، فإن هذه المحاضرات حول الأنثروبولوجيا تطلعنا على الطريقة التي استخدم بها فوكو النصوص وعلّق عليها. إن دراسة فكر الفلاسفة بالنسبة لفوكو تجعل من الممكن تفسير ما كان أو ما لم يكن قابلاً للتفكير في فترة تاريخية معينة. من خلال البحث في مقولات أرسطو - كما نقلها بيير دوهيم في كتابه «نظام العالم». وفي «تاريخ العقائد الكونية من أفلاطون إلى كوبرنيك» عام (١٩١٣) - أو من خلال فلسفة ديكارت، وهنا يتساءل فوكو لماذا لم يكن التفكير بالإنسان مُمكنًا في العصور القديمة اليونانية أو في العصر الكلاسيكي؟

إن منهج فوكو المذكور أعلاه يقنعنا بأن هذه المحاضرات حول الأنثروبولوجيا تتأسس حول ثلاثة محاور هي: الانثربولوجيا كانت مستحيلة في عصر الفلسفة الكلاسيكية. والانقلاب الكانطي وما تلاه، وأخيراً انفجار النظام الأنثروبولوجي بواسطة نيتشه. وقد نجد صدى هذه المحاور عند جيل دولوز حينما تحدث عن منهج فوكو في بداياته ووصفه بأنه عبارة عن «تشظٍّ فكري غير متجانس» لأننا لا نجد «ثلاثة فصول» أو «ثلاث لحظات» في هذه المحاضرات بل بالأحرى هي «لوازم» متكررة، وبتعبير آخر صاغه دولوز وغاتاري فهي «حلقة دائرية»، وحركة ذهاب وإياب تحدد منطقة الفكر. في العمل نفسه، يظهر كانط وفيورباخ في كل من الجزء الأول والجزءين التاليين. علاوة على ذلك، تناقش العديد من النقاط دفعة واحدة، مثل مسألة الكون اليوناني، والطبيعة أو الحقيقة أو الجوهر، في مقاطع مختلفة من نص فوكو.

في السؤال الأنثروبولوجي، نجد تأملات مثيرة للغاية حول تفسير النصوص التي وضعت في نهاية الكتاب، في القسم الفرعي المخصص لهايدغر. نشير إلى كيفية استخدام فوكو لوثائق فلسفية مختلفة للتفكير في الأنثروبولوجيا مستندا إلى المقدمة التي خصصها هايدغر لشعر هولدرلين، وفي السياق ذاته يوضح فوكو أن الغاية من التعليق أن نبرز القصيدة ونضعها «تحت ضوء ساطع» يتجسد بنور كلمات المعلق. ومع ذلك، يصرح فوكو أن تفسير القصيدة لا يتطابق تمامًا مع تفسير الفكر الفلسفي: «على عكس التعليق الشعري، لا يتم نطق ما قيل بصوت عالٍ بل تترك الكلمة الموجودة، وقول المسكوت عنه، لأن الفرقَ كله بين اللفظ والتعبير « (ص ٢٠٨). وبالتالي، فإن التعليق الفلسفي لا يكتفي بتوضيح النص ولكنه يبحث عما لم يفكر فيه من قبل ويجب أن يُقال عن العمل الأدبي ما لم يقل من قبل. هذا بالضبط ما يفعله فوكو في هذه المحاضرات من خلال التشكيك في شروط إمكانية وجود فكر بشري، كما تُبرز هذه المقاطع علاقة فوكو بهيدغر خلال تلك الفترة بالإضافة إلى طريقته في التلاعب بالاستعارات: عندما يقول «إنَّ التخلي الذي ينتمي إلى جوهر التعليق الفلسفي، يناقض النسيان والاقتلاع الذي يجتث ويلغي: فهو يتوقف على ترك الفكر في تربة نموه، مأخوذًا ومحتفظًا به في هذه التربة التي انغلقت على نسيانها الأساسي. ولا يجدر بنا نبش التربة لفحص جذور الفكر؛ ولكن يجب فحص هذه التربة المغلقة حيث انحبس جوهر فكر معتم.. إن التفسير الفلسفي للفكر ليس بحثا متخصصا في الأعشاب عن أسرار نموها، بل هو معركة فعَّالة مع التربة التي ولدت منها «(ص ٢١٠). لا يتعلق الأمر بممارسة تأويل النص والتأمل في معانيه الخفية المفترضة بقدر ما يتعلق الأمر بتحليل الخطابات كما أنشئت في فضاءاتها التاريخية المحددة وفهم الشروط التي سمحت بإنتاج فكر فلسفي عن الإنسان.

إن منهج فوكو أثار اهتمام علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين، الذين رأوا فيه طريقة للتعامل مع النصوص على أنها ممارسات. إن كتابة ميشيل فوكو، رحلة فلسفية، وقد أشاد هوبير دريفوس وبول رابينوف بقدرة كتابات فوكو الأولى أن تستكشف «التغيرات المذهلة» ضمن «التصنيفات الثقافية». وهذا ما طبقه فوكو في «السؤال الأنثروبولوجي» من خلال التساؤل أولاً وقبل كل شيء عن الطريقة التي وضع بها فكر «الطبيعة» في القرن السابع عشر حداً للفكرة الأرسطية عن «العالم»، دون إتاحة الفرصة لميلاد الأنثروبولوجيا. يمكن أن تنشأ الأنثروبولوجيا فقط من اللحظة التي تحدد فيها الطبيعة نفسها ليس في إطار التعالي الإلهي ولكن كطبيعة بشرية. «لقد عملت فلسفة التنوير بالفعل على تقديم موضوع أساسي: لا يمكن لحقيقة الإنسان أن تخرج للضوء إلا في إطار التناهي. بدءًا على الأقل من المحتويات الملموسة التي تحدد من خلالها الطبيعة، كطبيعة بشرية» (ص ٥٢). لأن الإنسان في جوهره المحدود قادر على التفكير بشكل مستقل.

إن المفهوم الفلسفي للأنثروبولوجيا أصبح ممكنًا منذ القرن الثامن عشر. واستنادا إلى الجامعية أريانا سفورزيني المتخصصة في فلسفة فوكو وجامعة ومعدة الكتاب، فإن هذه النقطة المهمة بدأت حينما: «أفسح كانط مكانًا - جنبًا إلى جنب مع الكون كموضوع متجاوز - للعالم باعتباره مجالا للتجربة حيث يبني الإنسان حقائقه العملية» (ص ٢٤٤). ويبرز ذلك من خلال قراءته لتجريبية هيوم، يؤكد فوكو أن كانط كان يمكنه بالفعل التفكير في معرفة جوهرية عن الإنسان من خلال طرح الأسئلة الثلاثة - ما الذي يمكنني معرفته، وماذا علي أن أفعل، وما الأمل المرجو من ذلك؟ لكن فوكو يقول إن سؤالا رابعا جوهريا أغفله كانط وهو: ما الإنسان؟

يُلاحظ فوكو في الجزء الثاني من أنثروبولوجيا كانط السمة الرئيسية للأنثروبولوجيا. إنها مسألة تحديد مجموعة من خصائص الفرد، ولا سيما «الجنس» و«العرق». والتعارض بين «العالم»، الذي يُفهم على أنه امتداد للإدراك العقلي، و«الطبيعة»، التي يتعرّف من خلالها على أنها فضاء خيالي، يختفي لصالح تمييز جديد بين «الكون» اللامتناهي و«مجال الخبرة»، من خلالهما يعطي الفرد معنى للطبيعة؛ لأن الإنسان ليس عنصرًا من عناصر الكون فحسب، بل هو أيضًا صاحب منفعة في العالم الذي يتطور فيه والذي يمكن أن ينتج فيه وعنه المعرفة من خلال الاستخدام المستقل لعقله.

يمكننا القول إن الأنثروبولوجيا بالنسبة لفوكو هي

نوع من المعرفة: « المعرفة ليست شكلا للمعرفة أو روحا أو حقبة؛ بل هي مجموعة من العلاقات التي يمكن اكتشافها، في فترة معينة، بين العلوم عندما يتم تحليلها على مستوى الانتظام الخطابي. كانت الأنثروبولوجيا بمثابة تحقيق للخطاب النقدي، وتحويل «الميتافيزيقا البشرية» إلى وجود فلسفي للإنسان المفكر في جوهره (ص ١٥٦). إن هذا الشكل من أشكال المعرفة يقع تاريخيًا بين عصر التنوير ونهاية القرن التاسع عشر.

بناءً على فلسفة نيتشه، يتساءل فوكو عما إذا كان من الممكن بناء «معرفة حيّة للحياة» قادرة على القطع مع البحث عن «معرفة مطلقة للحياة». إنها مسألة وضع معرفة تحرر الإنسان من أساطير المعرفة وتوجهها نحو الحرية. حينها يصبح النقد على عاتق الإنسان والقيم الأخلاقية والعالم، ويدل على نهاية الأنثروبولوجيا. لم يعد المهم هو «الإنسان» بل «الحياة» و«الحرية» هي الأهم، وهما الرهان الأكبر لتحرير فكره، وبذلك ستكون إرادة الحياة هي تحويل فلسفة الحقيقة إلى ميتافيزيقا الإرادة، والتي لن تكون في حد ذاتها سوى نوع من علم الكون الساحر للحياة «(ص ١٨٨).

يستعيد فوكو في أحد أجمل فقرات الكتاب أسطورة ثيسيوس التي علّق عليها نيتشه في أحد كتبه. في ظلام المتاهة، لا يبحث ثيسيوس عن الحقيقة، بل يبحث عن أريان، المرأة التي يحبها ويرغب في إنقاذها من براثن مينوتور. وفي خضم تيهه اللامتناهي في المتاهة، يخسر نفسه ويضيّع أريان: لم يعد رجلاً؛ بل أصبح ليلا. يُبين فوكو أن «ضياع الإنسان» هو قبل كل شيء مشروع يقوم به الإنسان نفسه، الذي يضيّع نفسه في البحث عن الحقيقة، لكنه ينقذ نفسه بواسطة الهذيان الديونيسي. إن موت الإنسان والأنثروبولوجيا الفلسفية هي نتيجة طبيعية للتحرر من إرادة السلطة، أي ممارسة القوة، القادرة على خلق قيم جديدة تعيد للإنسان سحر الحياة. (ص ١٩١ ؛ انظر أيضًا ص ٢٠٠ وص ٢١٥).

يُبرز فوكو أن الفكر النيتشوي يقوم بقلب وجود الحقيقة في الظواهر، وفي المظاهر، لكي يمنحها معنى جديدًا: «سيكون تفسيرًا للوجود من خلال الحياة، شكلًا مؤلفًا من أشكال الوجود الحي» (ص ١٩٥). يبدو أن «الإنسان» يفسح المجال لـ «الكائن»، الذي يجسد الحياة. لم تعد المعرفة الفلسفية للأنثروبولوجيا هي التي يجب التفكير فيها بل التفكير في وجود الإنسان، بمعنى آخر يجب التفكير في إمكانات الحياة التي يحملها في داخله، والتي أضحى من الآن فصاعدا مطالبا بإنتاجها، وإعادة اختراعها.

وكما تشير أريانا سفورزيني في خاتمة الكتاب، فإن نشر محاضرات فوكو حول السؤال الأنثروبولوجي يوضح كيف نشأت الظروف التي جعلت من الممكن وجود تفكير حول الإنسان: « تحدد الأنثروبولوجيا، بالمعنى الأدنى، إغراء إدراج جوهر الإنسان في خطاب الحقيقة، أو حتى مشروع وصف الإنسان الحقيقي» (ص ٢٤٧) . يملك هذا الإنسان علاقات وثيقة مع العالم والطبيعة والحقيقة، لكن وجوده في مجال المعرفة سيكون مؤقتًا فقط. من الأشياء المثيرة في هذه الإرهاصات الفكرية عن السؤال الأنثروبولوجي، أننا لا نجد من جهة، أي إشارة للأعمال القادمة لفوكو، ولا سيما عمله العظيم «الكلمات والأشياء» أو غيرها وكأن المحاضرات فصلت تفصيلا لإثارة سؤال الأنثروبولوجيا. من جهة أخرى، يعرض الكتاب قوة فكرية على نبش الأفكار الجديدة من أشلاء أفكار قديمة، هذا البناء الفكري المتنامي الذي تميز به فوكو والذي يذكرنا دائما أن الحياة الفكرية هي انبثاق من حياة الإنسان، وأن البعد الإنساني، أغلى من أي معرفة أو حقيقة.

الكتاب: السؤال الانثروبولوجي
المؤلف: ميشيل فوكو
الناشر: دار سوي، ودار غاليمار، ومنشورات ومدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية
سنة النشر: 2022
عدد الصفحات: 304 ص
اللغة: الفرنسية

* كاتب ومترجم مغربي

النظرية النقدية اليوم: حول حدود التقاليد الفكرية وارتباطها

تأليف جماعي

علي الرواحي *

منذ فترة طويلة وتحديدا بعد تبلور الحركة النقدية المتجددة في ألمانيا مع ظهور مدرسة فرانكفورت والشهرة الكبيرة التي حققتها على المستويات الفكرية والنقدية تجاه الكثير من القضايا المختلفة، كان من الضروري أن تراجع هذه الحركة نفسها بين فترة وأخرى، ومن وجهات نظر مختلفة، لأهدافٍ كثيرة تسعى من خلالها لفهم التغيرات الواقعية السريعة في العالم، كما تهدف لعدم الركون لما يحدث بسبب الانحرافات الرأسمالية المتزايدة والمستمرة من جهة، وجعل الصوت الفلسفي حاضرا ومراقبا ومستشرفا، وفي نفس الوقت مشاركا في هذه المسارات المعقدة.

من هنا، ظهرت هذه المجموعة من المقالات في مؤتمر بعنوان «النظرية النقدية في (وقت) الأزمة»، والذي عُقد في جامعة برايتون في نوفمبر ٢٠١٩م. وكان الهدف من الأقواس في العنوان هو التركيز على موضوع الزمن والتحديات المتزايدة التي يطرحها على كل النظريات الثقافية المختلفة، بما فيها بطبيعة الحال النظرية النقدية التي حازت على شهرة عالمية منذ مقال ماكس هوركهايمر عام ١٩٣٧م المعنون بالنظرية التقليدية والنظرية النقدية، والتي طبعت عالم الدراسات الثقافية لاحقاً بطابعها وبالمواضيع والنقاط والمرجعيات والاتجاهات النقدية في العالم.

فالسؤال الأول في هذا العمل كان حول ما إذا كانت النظرية النقدية، في تجسدها المعاصر، قادرة حقا على الاستجابة لعالم يبدو أنه يمر بالعديد من الأزمات الوشيكة والمستمرة؛ وثانيا، أرادت أيضا هذه الأسئلة أنه إذا ثبت أن النظرية النقدية محدودة في هذه الاستجابة، فقد تواجه أيضا نوعًا من الأزمات. يجب وضع الأسئلة والاهتمامات التي دفعت إلى المؤتمر في سياقها؛ ففي عام ٢٠١٩م، كان خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وانتخاب ترامب في الماضي حدث كل ذلك في ثلاث سنوات فقط. كما كان مصطلح «ما بعد الحقيقة» لا يزال مصطلحا جديدا نسبيًا في وسائل الإعلام الليبرالية، وكان المعلقون من مختلف الأنواع منشغلين في محاولة شرح شيء يسمى «الشعبوية». كما بدا أن الديماغوجية والاستبداد والعودة المتكررة والجديدة لليمين السياسي آخذة في الارتفاع، وكذلك المخاوف المتعلقة بالطرق التي قد تسهل بها تقنيات الإعلام الجديدة مثل هذه الظواهر السياسية. كل هذا كان يحدث على خلفية من التفاوتات الجسيمة، والأنظمة الاقتصادية غير الصالحة للاستمرار، وكوارث بيئية تلوح في الأفق. إذا تم تناول هذه القضايا بشكل فردي، ولم يكن أي منها جديدا بشكل خاص؛ ولكن عند أخذها معا، بدا أنها تشير إلى أن الأمراض المختلفة لليبرالية قد ولدت لحظة تاريخية جديدة ومشحونة بشكل غريب، كما بدا من المعقول التساؤل عما إذا كانت النظرية النقدية المعاصرة قادرة على معالجة تلك اللحظة بأي نوع كان.

أول مقال في هذا الكتاب هو «حول أزمة النقد: إعادة صياغة مشروع النظرية النقدية» لمايكل ج. تومسون. يحدد نص تومسون المخاطر بالنسبة لكثير مما يلي في المقالات اللاحقة، حيث يرى أن النظرية النقدية المعاصرة أصبحت «مدجَّنة»، نظرا لدرجة انفصالها عن دراسة جادة للطرق التي قد تؤثر بها الهياكل الاجتماعية على الذات الواعية بطرق تجعلها قابلة للتلاعب. يجد تومسون خطأً خاصا في العمل الذي تم إجراؤه على غرار تأكيدات يورغن هابرماس وأكسل هونيث على «الخطاب» و«التواصل» و«التبرير» و«الاعتراف»، كما يجادل تومسون بأن هذه الأساليب تحتاج إلى فترة زمنية، بقدر ما يجب الانتباه إلى ظهورها في فترة رأسمالية دولة الرفاهية في الستينيات والسبعينيات. كما يؤكد فصله أن هذه النظريات يمكن أن تبدو إلى حد ما ساذجة اليوم، بالنظر إلى الدرجة التي تشكل بها سياقنا عبر عقود من إعادة الهيكلة النيوليبرالية. يجادل أيضًا تومسون أنه يجب إيلاء اهتمام أكبر للطرق التي تتشكل بها الذاتية المعترف بها التي تعتمد عليها هذه النظريات من خلال التسليع المتفشي والتقنيات الجديدة التي تميز الوضع العالمي حاليا.

في الفصل الثاني وبعد مقال تومسون يأتي مقال محمد قاسم بعنوان «عجز مضاد للاستعمار في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: الحاجة إلى منعطف ديكلونيالي». مثل تومسون، يتهم قاسم النظرية النقدية المعاصرة بأنها لم تعد ناقدة بشكل كاف، لكنه يفعل ذلك لسبب مختلف، حيث يرى أنه على الرغم من انشغالها بأشكال الهيمنة، إلا أن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، وفي الواقع الكثير من الأعمال التي لا تزال في نفس المسار، قد فشلت في معالجة عمى المركز الأوروبي تجاه أشكال الهيمنة الاستعمارية. يقدم قاسم هذه القضية من خلال مناقشة مطولة حول مشاركة إيمي آلن في هذه القضية. بالنسبة إلى آلين، يقدم عمل أدورنو موارد يمكن استخدامها لعلاج أوجه القصور الاستعمارية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت. ومع ذلك، يؤكد قاسم أن هذا الاعتماد على أدورنو يعكس نزعة محافظة متأصلة، ويقدمها على أنها نقد أوروبي مركزي للنزعة الأوروبية، ثم يتابع مقاله لإظهار الأهمية الأوسع لمثل هذه الإخفاقات.

المقال الثالث في العمل يهتم بحدود المجال العام للنظرية النقدية المعاصرة، لكنه يركز على الإعداد المؤسسي لها. يسأل ديفيد غولد عن الشروط الموضوعية، وعن تأثير الطبيعة البيروقراطية والفعالة للجامعة الحديثة على إنتاج النظرية النقدية. كما يناقش غولد الضغوط والمطالب المختلفة التي تُفرض الآن على الأكاديميين والطلاب ويجادل بأن التكامل الحالي للنظرية النقدية داخل الجامعة النيوليبرالية يمثل مشكلة أساسية لأولئك الذين يعملون مع هذه المادة.

كما تركز الفصول التالية على جوانب النظرية الاجتماعية النقدية المعاصرة؛ ففي مقال «النظرية النقدية والحداثة السياسية والاعتدال الاجتماعي»، يناقش دارو شيكتر Darrow Schecter التداخلات والاختلافات التاريخية بين عمليات الحداثة الاجتماعية، وهي حالة تتميز بالميول نحو التمايز الوظيفي والتوجيه اللامركزي للأنظمة الاجتماعية - والحداثة السياسية، والتي تُفهم كانتقال من علاقات القوة الشخصية والعلنية إلى دول قومية حديثة مركزية، كما يستخدم شيكتر هذه المفاهيم والفترة الزمنية التي توفرها لمناقشة فضائل وقيود نظرية يورغن هابرماس للفعل التواصلي. بينما يجادل شكتر لاحقا بأن هذه النظرية كانت قادرة، لبعض الوقت، على التعبير عن موقف سياسي قادر على التوفيق بين التمايز المنهجي للحداثة الاجتماعية وبين الحكم المتمركز حول الدولة المناسب للحداثة السياسية. ومع ذلك، فهو يؤكد أن قدرتها على القيام بذلك كانت خاصة بفترة تاريخية مُعينة اقتربت الآن من نهايتها، كما يؤكد أننا بحاجة إلى تطوير طرق جديدة وأكثر صلة بالموضوع في الوقت المناسب للتفكير حول الدولة الاجتماعية.

يرى مايكل تومبسون في مقالته الافتتاحية الأولى أن النظرية النقدية في نشأتها، ركزت بشكل كبير على الطرق التي تشكل بها الأبعاد البنائية للحياة البشرية للوعي والثقافة في المقام الأول وتتأثر بديناميكيات المجتمع الرأسمالي؛ حيث كان الشغل الشاغل لهؤلاء المفكرين هو ما اعتبروه تشكيلًا جديدا للرأسمالية وكيف جمعت قوى اجتماعية جديدة شوهت الموضوع وجعلته أكثر عرضة للسيطرة والهيمنة والاستبداد والتشيؤ، وبالتالي حل أي مظهر من مظاهر الاستقلالية والتفكير النقدي؛ فقد تم استبدال السلالات الإنسانية لعقل التنوير بالوضعية والعقلانية الأداتية. لكن النظرية النقدية اليوم لا تهتم بهذه القضايا، على الأقل ليس بأي معنى موضوعي. فبدلاً من ذلك، طُلب منا أن ننظر إلى «الخطاب» و«الاتصال» و«التبرير» و«الاعتراف» بما لا يقل عن معالجات غير متماسكة وملموسة للاغتراب والتقدم والتشكيل باعتبارها جوهر النظرية النقدية؛ ذلك أن تومسون مقتنع بأن هذا ليس أكثر من انحراف أكاديمي لما كان في السابق

محاولة فلسفية ملتزمة لمواجهة السلطة الاجتماعية المنظمة واستعادة الوعي الذاتي النقدي وتمكين القدرات والرغبات من التحول الاجتماعي، ويؤكد أن هذه المساعي الفكرية المختلفة تشكل أزمة النقد في المجتمع الحديث؛ وهي أزمة يجب مواجهتها والتغلب عليها.

علاوة على ذلك، يفكر تومبسون بصوت مسموع في الكيفية التي شكلت بها تحولات التنظيم الرأسمالي للمجتمع مسار النظرية النقدية، حيث يرى أن التغييرات المعاصرة في المجتمع والثقافة الرأسمالية لا يتم تناولها بشكل كاف من قبل الجيل الثاني من المنظرين النقديين والنماذج النظرية والفلسفية؛ فحجته في ذلك مستمدة من أطروحتين أساسيتين. أولاً، الطابع التاريخي للرأسمالية غيّر طبيعة الديناميكيات البنيوية الفوقية للمجتمعات الحديثة إلى حد أن طرق صياغة النقد يجب أن تتغير معه أيضاً، وبشكل أكثر تحديدا، يرى تومبسون أنه بينما بدأت النظرية النقدية أثناء ولادة مرحلة رأسمالية الدولة التي طغت على مرحلة عدم التدخل والرأسمالية الحرفية في أواخر القرن التاسع عشر، فإن الجيل الثاني من الرأسمالية النقدية عبّروا عن أفكارهم في سياق نموذج دولة الرفاهية للرأسمالية الشخصية الفاعلية في الستينيات والسبعينيات.واليوم، في مرحلة ما بعد الليبرالية الجديدة للرأسمالية أو ما يسمى المجتمع السيبراني تشكل تحولًا نموذجيا ثالثا في القاعدة السياسية والاقتصادية للمجتمعات الحديثة، غيّر بشكل أساسي العلاقة بين النظام والعالم المعيش.

على هذا النحو يرى تومبسون، أنه يجب فهم النظريات الكبرى لمفكرين مثل يورغن هابرماس وأكسيل هونيث ومعاونيهم على أنها انبثقت من إطار العمل السياسي والاقتصادي الثاني الذي يعتمد على الرفاهية الاجتماعية الديمقراطية؛ ذلك أن لنظريات إثراء الديمقراطية من خلال التواصل والخطاب والتبرير والاعتراف مكانة بارزة في إطار سياسي اقتصادي يضمن درجة معينة من حياة الطبقة الوسطى بالإضافة إلى المنافع العامة القوية والإجماع الديمقراطي. غير أن مصدر الصدمة كما يرى تومبسون يأتي من أن هذه النظريات الجوفاء بشكل متزايد وتصل لمرحلة السذاجة (على الرغم من تطورها الفلسفي) في عصر تفشي الشعبوية، والعجز الديمقراطي، والتسليع الشامل، والتشيؤ المفرط، واللامساواة الأوليغارشية، والأشكال الأحدث من التلاعب التكنولوجي بالذات.

وهذا يقودنا للأطروحة الثانية، بحسب تومبسون، التي يرى فيها أنه يجب إعادة التفكير جذريا في النموذج الفلسفي لما بعد الميتافيزيقي الذي أقامه هابرماس في السبعينيات من أجل قطع صلاته بماركس؛ حيث يفترض أن التحولات النموذجية ما بعد الميتافيزيقي لنظريات الفعل الاجتماعي بشكل أساسي، كالتواصل والخطاب والاعتراف والذاتية المشتركة بشكل عام، يجب أن تُمنح امتيازا على الآليات البنيوية الوظيفية التي شكلت ديناميكيات المجتمعات الحديثة. على هذا النحو، لم يكن تحول القوة الطبقية أو البنية الاقتصادية أو أي نوع آخر من الظروف الاجتماعية الموضوعية هو الذي يتطلب اهتمام المنظرين النقديين، ولكن الممارسات بين الذوات التي يمكن أن تؤدي إلى تعزيز الحقوق الاجتماعية والإجماع الديمقراطي. فهذه الأطروحة تستند إلى الافتراض الذي تم طرحه أعلاه: أي أنه كان هناك تحول

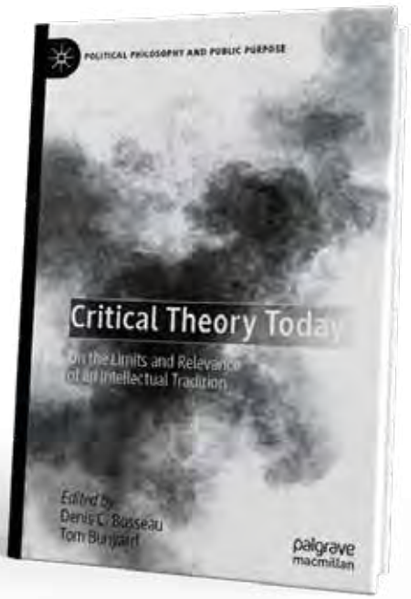

نموذجي من رأسمالية الدولة والاحتكار إلى رأسمالية دولة الرفاهية المروضة أو المدجنة التي كانت قادرة على توفير الحقوق الاقتصادية والوصول إلى السلع العامة. ومن ثم، تراجعت مشاكل التشيؤ والاغتراب وقوة الطبقة وما شابه ذلك في الخلفية.

في مقالته في الفصل الرابع يسعى دارو شيكتر Darrow Schecter كما سبق القول لتوضيح بعض الأسئلة التي أثارتها العلاقات المتداخلة جزئيا والمتباينة في آن واحد بين الحداثة السياسية والحداثة الاجتماعية، حيث يُمكن تحليل الحداثة السياسية بواسطة الانتقال من علاقات القوة والسلطة ذات الطابع الشخصي للغاية والتسلسل الهرمي بشكل علني للإقطاع الأوروبي، إلى بناء دول قومية حديثة مركزية في أوروبا، وفي نهاية المطاف حول العالم. ففي كتاباته المُبكرة، رحب ماركس ببناء الدول القومية المركزية كجزء لا يتجزأ من توطيد إنجازات الاستقلالية السياسية والدولة المشكّلة سياسيًا المرتبطة بالثورة الفرنسية والتي يعتقد أنها في أربعينيات القرن التاسع عشر تضع الإطار لشكل أكثر شمولاً للتحرر البشري في ثورة حاسمة قادمة. مع الأخذ في الاعتبار المسارات الوطنية المتميزة للدولة الديمقراطية الحديثة في أوروبا وخارجها، وكثير منها لم يكتمل حقاً إلا بعد عام ١٩٤٥م، فإنَّ المراحل الأولية للانتقال من الإقطاع إلى الحداثة السياسية تشير إلى الانتقال من ممارسة السلطة التي لا يمكن التنبؤ بها نسبيًا لجزء كبير من النخب الأرستقراطية والملكية والكنسية، إلى دولة القانون والتقسيم التأسيسي للسلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية. ومع توفر بعض الشروط الموضوعية، يمكن للمرء أن يقول إنه خلال الفترة التاريخية المعنية، كان هناك توافق واسع بين المبادئ الرئيسية للفكر الليبرالي المبكر في بريطانيا والحريات السياسية الرسمية المنصوص عليها في دساتير الدول ما بعد الإقطاع الأولية، وهذا يضفي على التوافق قدرا معينا من الوضوح المفاهيمي والتماسك المؤسسي لمفهوم الديمقراطية الليبرالية.

بعبارة أخرى، وكما يقترح ماكس فيبر في كتابه «السياسة كمهنة» المنشور عام ١٩١٩م، فإن الحياة الواقعية لما لا يزال يشار إليه عموما بالديمقراطية الليبرالية تنطبق بشكل أساسي على بريطانيا في الفترة التي سبقت ظهور الاقتراع العام وتطور الأحزاب السياسية الجماهيرية والناخبين، حتى قبل أن تبدأ الصراعات المضطربة في فايمار بشكل فعلي، حيث رأى فيبر أن المؤسسات السياسية للديمقراطية الليبرالية لا تتوافق بشكل جيد مع ديناميكيات المجتمع الجماهيري، والتي وفرت هذه الهواجس الأساس لتشخيصه بأن الديمقراطية من المحتمل أن تتطور من تجسيدها الليبرالي الأولي في بريطانيا إلى ممارسات استفتاء أكثر صراحة في أوروبا وأمريكا الشمالية. في حين على عكس ذلك ما يزال يُفترض في كثير من الأحيان، بأنه لا يوجد انتقال سلس من الحياة القصيرة نسبيا للديمقراطية الليبرالية إلى المسارات الأطول والمتقطعة إلى الحداثة السياسية والتحرر السياسي ناهيك عن فكرة ماركس عن التحرر البشري، فالأحداث التي وقعت في فرنسا عامي ١٨٤٨ و١٨٥١ تقدم أدلة مقنعة تدعم هذه الأطروحة، كما تعزز أيضا الإشارة إلى عام ١٩٤٥م، والمتعلقة بالآليات المتداخلة والمتباينة للحداثة السياسية والاجتماعية، والتي استمرت حتى التصديق على قانون حقوق التصويت في الولايات المتحدة ١٩٦٥م، وربما امتدت حتى نهاية الحرب الباردة في ١٩٨٩م-١٩٩٠م.

والحجة في ذلك بحسب شيكتر هي أنه في حين أن فوكوياما مخطئ في إعلان نهاية التاريخ في أعقاب الحرب الباردة مباشرة، فمن غير المعقول القول بأن التكافل الدستوري بين الحداثة السياسية والاجتماعية ينتهي أو يدخل في تدهور نهائي إذا طال أمده بحلول الكوارث المالية في ٢٠٠٨م-٢٠١٠م وما تلاه من بروز الموجة الأخيرة من الشعبوية الاستبدادية في جميع أنحاء العالم؛ فالمرء من الممكن أن يلاحظ التعايش الملحوظ غير المتزامن للثقافات الشفوية والمكتوبة والرقمية، غير أنه لا يمكن أن يُعزى نفس هذا التوافق الواضح إلى العلاقة بين الحداثة السياسية والاجتماعية اليوم. يحاول هذا الفصل دعم هذه الأطروحة ودراسة بعض انعكاساتها عن طريق تحليل بعض الأفكار الرئيسية ليورجن هابرماس ونيكلاس لومان، كما يوضح الفصل أن نظرية الفعل التواصلي التي طورها هابرماس لأول مرة في أوائل الثمانينيات نجحت في تحقيق غايات مهمة جدا حتى عام ٢٠١٠ تقريبا.

بالإضافة لذلك، سلطت جائحة كورونا الضوء على آليات الهيمنة والتلاعب الاجتماعي والمتجذرة بعمق في مختلف المجتمعات، وهذا يستدعي انتقادات اجتماعية وتغييرا اجتماعيا، إلا أن هذه الاستجابات كانت بطيئة في الظهور، وبشكل خاص في مجالات العمل الأكاديمي المرتبط بالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الأمر الذي يعني بأن المسار النقدي للنظرية يحتاج لتسارع في مواكبة الأحداث العالمية ونقدها.

الكتاب : النظرية النقدية اليوم: حول حدود التقاليد الفكرية وارتباطها

المؤلف : تأليف جماعي

الناشر: بالجريف، 2022

عدد الصفحات : 279

لغة الكتاب : الإنجليزية

* كاتب عماني

ثورات نقدية: 5 نُقّاد صنعوا تغييرًا في طريقة القراءة

تيري إيغلتون

عزيز جاسم محمد *

أبرز ما يقوم به المُفكر والفيلسوف الإنجليزي تيري إيغلتون في كتاباته النقدية هو ربط الأدب بالسياسة من جهة وبالدين من جهة أخرى، ويقوم إيغلتون باتباع فلسفة عميقة من خلال تلك العملية التي يراها لاهوتية ماركسية وهي التي يجمعها في شخصيته. هذا ما تعودنا عليه عند إيغلتون في أغلب كتبه الصادرة قبل هذا الكتاب، على الأقل في تلك التي صدرت في بداية القرن الحادي والعشرين، مثل (الفاجعة، وفلسفة الفكاهة، والثقافة، وعن الشر، ومشكلات مع الغرباء، وكيف نقرأ الأدب، والمادية وتضحية راديكالية) وغيرها من الكتب النقدية المتجذرة في فلسفتها الفكرية الحديثة.

نجده يستمر في دعمه لنظرته اللاهوتية الماركسية التي تربط الدين بالسياسة والمجتمع؛ إذ لا يخلو هذا الكتاب من تلك النظرة لكن الكاتب لم يكن ميالاً إليها بشكل كبير هذه المرة حيث ركّز على طرائق التدريس والأفكار الأدبية الفلسفية التي استخدمها نُقاد خمسة والتي أدت إلى حدوث اختلاف في طريقة القراءة في عصرنا الحالي. بَرَز النُقاد الخمسة الذين اهتم إيغلتون بمفهومهم الأدبي والنقدي للتدريس الأكاديمي للأدب في مطلع القرن العشرين وهم على التوالي تي أس إليوت، وآي إيه ريتشاردز، ووليام إمبسون، وأف آر ليفيس، وريموند وليامز.

لا يتميز الكاتب فقط في الربط بين الآيديولوجيتين اللاهوتية والماركسية فحسب، ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك ليضيف لنا في هذا الكتاب مَنْ سَهّل وفَتَح الباب للثورة النظرية الحديثة وساهم - من غير قصد - في نشوبها. لكن يبقى السؤال الذي يرد إلى ذهن القارئ: لماذا هؤلاء النقاد الخمسة بالتحديد من بين الكثير؟ نجد أن إيغلتون أعطى جواباً لهذا السؤال من خلال السياق العام لسرده أحداث الكتاب إذ أشار إلى أنّهم من أبرز المؤثرين وأصحاب الإسهامات الأصلية في هذا العصر في مجال التدريس الأكاديمي خاصة. لا يقلون شأناً عن الميتافيزيقيين؛ لأنهم شكلوا ثورة نقدية مُهمة في بريطانيا القرن العشرين. تحدث عنهم بشكل خاص لأنهم جزء مُهم من ثورات نقدية استخدموا بها أساليب في النقد الحديث والتي كانت ممهداً رئيسياً للثورة النظرية التي بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين إلى يومنا هذا. أشار أيضاً إلى أن هذه الثورات «حولت الدراسة الأكاديمية للأدب وأعطتها مركزية جديدة في بريطانيا وما حولها.»

تُعد ثوراتهم الجزء الأهم في تأسيس اتجاه لدراسة الأدب بطريقة أكاديمية جادة في جامعة كامبريدج. لا يُخفى أن الثورة النظرية أحدثت انطلاقة في الفكر الأدبي والنقدي الحديث وذلك منذ نهاية العقد الأول بعد منتصف القرن العشرين، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت النظريات الفكرية الأدبية الفلسفية النقدية بالظهور والانتشار. على سبيل المثال، النظرية التفكيكية، ونظرية استجابة القارئ، والبنيوية في فرنسا وروسيا، والشكلية الروسية، والموجة الثانية من النسوية إلخ. أدت كل هذه النظريات وغيرها إلى خلق شكل من أشكال التحولات الاجتماعية السياسية منذ بدايتها حتى الوقت الحاضر وتوزّعت في اختلاف أهدافها منها اللغوية والطبقية والجنسية والإثنية.

دعا إيغلتون هؤلاء النُقاد بـ «نُقاد كامبريدج» على الرغم من أنه بيَّن عدم شمولية إليوت بالتدريس في جامعة كامبريدج لكنه أثنى على إسهامه في هذا المجال وعزز بشكل كبير من إسهام ويليامز الذي يعتبره الوريث الكبير لهؤلاء النُقاد؛ لأن إيغلتون استمع إلى محاضراته عندما كان طالباً في جامعة كامبريدج.

وضح الكاتب فكرته الرئيسية المرادة في هذا الكتاب من خلال المقدمة التي عرضها في إحدى عشرة صفحة وسرد فرضياته وتعزيزه لما طرح من أسئلة تخص الأسباب التي أدت إلى الثورات النقدية التي فجرها النُقاد الخمسة في تغيير طريقتنا بالقراءة في الخمسة فصول التي تلتها، والذي توزع في كل فصل منها شرح واف عن أحد النُقاد المندرجين في محتوى الكتاب. تَطَّرق إلى كل من هؤلاء بشكل تفصيلي فيما يخص الأفكار النقدية التي تبنوها والأسس التي بنوا عليها نقدهم مما جعلهم في مسار واحد - كما يراه إيغلتون - نحو اختلاف النقد الحديث. كرّس إيغلتون جل اهتمامه على الناقد ريموند ويليامز الذي ظهر في الفصل الخامس من الكتاب، كونه وكما أشرنا سابقاً من بين من عاصرهم إيغلتون أثناء فترة دراسته.

رَكّز إيغلتون على أهم الوسائل النقدية التي سعى من خلالها هؤلاء النُقاد الخمسة أثناء التدريس إلى تعزيز مركزية الدراسة الأكاديمية للأدب والتي شرحها بشكل تفصيلي مع الأمثلة النصية في كل فصل من فصول الكتاب الخمسة. وبذلك يتبين للقارئ أن جوهر الكتاب هو التركيز على وسائل استخدمها الكتّاب في النقد الحديث والتي أصبحت الأداة التي حولت أسلوب الدراسة الأكاديمية وغيّرت مسار القراءة عندنا في هذا العصر. لكي يتم ذكر هذه الوسائل وتنوعها واختلافها لابد أن نُشير إلى السؤال الأهم هنا: ما هي الثورات التي صنعها هؤلاء والتي أدت إلى حدوث تغيير في طريقتنا بالقراءة؟

إذا نظرنا إلى ما أحدثه الكُتّاب واحداً تلو الآخر نجد أن تي أس إليوت - الذي ظهر عنواناً للفصل الأول من الكتاب - معادياً للرومانسية بشراسة. ذلك العداء الذي أحدث ثورة فكرية واضحة من خلال رفضه لفكرة «شخصية الشّعر» التي أرادها كل من الشعراء الرومانسيين أمثال ويردزورث وشيلي وكيتس وكولريدج. دافع إيغلتون عن مفهوم إليوت لـ «عدم شخصية الشعر» إذ أكد على أن ذلك «لا يعني أن القصيدة هي كائن قائم بحد ذاته، كما هو الحال بالنسبة «للنقد الأمريكي الجديد». إذا كانت القصيدة متحررة من مؤلفها والقارئ وقائمة بحد ذاتها، تكون بذلك مرتكزة على سياق تاريخي محدد (٤٨).» وقف إليوت أيضاً بطريق المشاعر في تحليله لطريقة الشعراء في كتابة القصيدة حيث أكد على «الدور المركزي للمشاعر» في القصيدة ووافقه إيغلتون الرأي عندما بيّن أن «العاطفة تجد طريقها إلى الشعر بشكل غير مباشر فقط، تتبلور في مجموعة من المواقف الخارجية التي تعمل كرمز أو اختصار للحالات الداخلية.» (٥٢)

إلى جانب تركيز إليوت على فكرة «التقليد» و«عدم شخصية الشعر» سعى إيغلتون إلى إبراز فكرة تبناها إليوت في إطار تحويل أسلوب القراءة عند القارئ وهي «نمط الإحساس» والتي تعتبر مكوّنا رئيسا من مكوّنات الأدب الحديث والتي باركت تلك الثورة عند إليوت. المثال واضح في مقالته «التقليد والإبداع الفردي» التي أشار إليها إيغلتون والتي رأى من خلالها أنه على الناقد أن يأخذ بعين الاعتبار مكونات أساسية للكتابة وهي «التاريخ والفلسفة واللاهوت

والاقتصاد وعلم النفس، حتى لو كان إليوت نفسه نادراً ما يشارك في مثل هذه التحقيقات» (٤٨).

آمن كل من آي إيه ريتشاردز ووليام إمبسون في الفصلين الثاني والثالث - الذي حمل كل منهما عنوان فصل على التوالي - بالعقلانية. أشار ريتشاردز إلى الأهمية الكبرى في التحليل النقدي وهي «القراءة عن كثب» والتي تمثلت في كتابه المشترك مع تشارلز كي أوغدن الذي حمل عنوان (معنى المعنى) والذي بين فيه أن «فكرة كون الكلمات بمعنى معين هي جزء مما تمثله، أو لها معنى ثابت مستقل عن استخداماتها المحددة» (٨٨). كان لكتابه (النقد التطبيقي) صدى كبير في الأوساط الأكاديمية كونه يحمل اختلافا واضحا في طريقة قراءة الأدب وتدريسه. علّق إيغلتون على هذا الموضوع بالقول: «الكتاب هو سجل لتجربة أسطورية أجراها ريتشاردز مع مجموعة من طلاب كامبريدج، حيث سلمهم قصائد دون إطلاعهم على مؤلفيها أو سياقاتها، وطلب منهم تحليلها وتقييمها. تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن اسم ريتشاردز مرتبط بشكل لا يمكن فصله بما يسمى بالنقد التطبيقي او العملي، وهو مصطلح اخترعه بالفعل، إلا أنه لا يفعل سوى القليل منه بنفسه في كتاباته المنشورة» (١٣٤).

ماذا أراد ريتشاردز «بالقراءة عن كثب»؟ الحقيقة أن إيغلتون لم ينسَ ذلك حيث علّق على معنى «القراءة عن كثب» في النقد والتي «تعني نوع القراءة التي تتشبث بعناد بشكل الجُمل - بإيقاعها وصوتها ونغمتها وملمسها والشكل النحوي لها وما إلى ذلك - ويأتي بأحكام وتفسيرات على هذا الأساس» (١٣٥).

بينما كان ريتشاردز منهمكا في توضيح معنى «القراءة عن كثب» نجد إمبسون ميالاً إلى «الغموض» في التحليل النقدي وهذا الأمر واضح في دعمه للاختلاف والتنوع الذي أدى إلى ثورة أحدثت تغييراً في طريقتنا بالقراءة من خلال تأكيده - كما أسهب إيغلتون - على مناقشة أنواع الغموض في عمله بالنقد الأدبي المُعَرف بـ (سبعة أنواع من الغموض) والذي «يتتبع فيه ما يسميه «مراحل تقدم الاضطراب المنطقي» (١٥٤). ذكر إيغلتون السبعة أنواع بالتفصيل ليعطي للقارئ فكرة مفادها أن مفهوم الغموض عند إمبسون هو لغوي ناتج عن عدم قدرة القارئ على فهم العديد من الكلام الذي يقرأه في أي نص من النصوص الأدبية لاختلاف قدرة التأويل.

ما يُميّز ليفيس عن زملائه في هذا الكتاب أنه يظهر في الفصل الرابع على أنه غريزي إلى حد خلقه لنموذج نقدي جديد في النقد الحديث. بينما كان إليوت مؤمنا بالله - أشار إيغلتون - إلى أن ليفيس وضع إيمانه في نسخة علمانية من الإله والتي تُعرف بالحياة. حيث تبنى

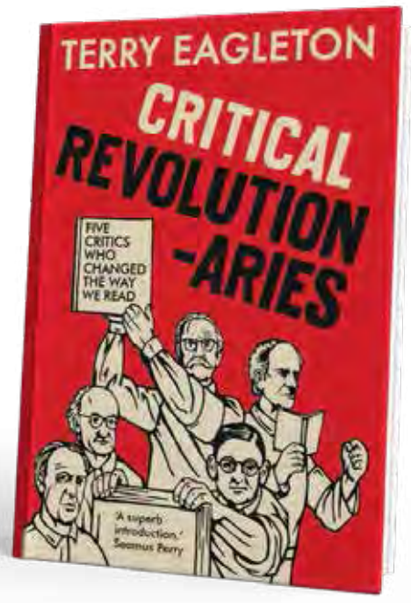

ليفيس النصوص الأدبية أثناء تدريسه الأدب في جامعة كامبريدج النموذج النقدي الذي دعاه «بالدين العلماني». هي إشارة إلى ما كان يعتقده ليفيس بالمجتمعات التي تنشأ ما بعد المسيحية. أضفى ذلك صبغة جديدة على الأدب وتدريسه خارج الإطار الديني المعهود. وبهذا سارع ليفيس إلى التأكيد على نقيض المحسوس وهو «الملموس» و«النقد الأدبي». أبرز ما أكد عليه ليفيس في الملموس هو أن يدخل الناقد فعلياً في حيازة العمل وبالأخص في ملئه الملموس والقيام «بالشعور بالشيء» بشكل كامل بدلاً من التعامل مع العموميات المسطحة (٢١٤). وبهذا صادق إيغلتون على هذه الفكرة من خلال طلب تمييز النقد من النظرية والفلسفة إذ من الممكن أن تكون هنالك وظيفة مهمة للذكاء العقلي الذي يستطيع تمييز الملموس منه والنظري. تتميز العلاقة بين الملموس والنقد الأدبي عند ليفيس في أنها عملية القفز من الفلسفة اللغوية الباردة الملمس إلى قساوة الحياة اليومية الصلبة الملمس. إعتبر إيغلتون النقد الأدبي عند ليفيس تدريباً على كل من الذكاء العقلي المتمثل بالملموس من جهة والمحسوسات من جهة اخرى، وهو بطبيعة الحال متعدد الأغراض. مدح إيغلتون النقد الأدبي واعتبره الطريق الملكي إلى الأدب لأنه (أي إيغلتون) وضع فرع العلوم الإنسانية في قمة هرم الجامعات الذي اعتبره المحرك الرئيسي للتعليم بعد ان توَّج الأدب مَلَكيّة هذه العلوم.

ختم الكاتب أطروحته بلفت الأنظار إلى معلمه ريموند وليامز الذي لعب الأخير دورا كبيرا في إظهار «بنية الشعور أو الإحساس» التي دعمها وصادق عليها إيغلتون في الكتاب. تحدث إيغلتون عن جميع الاتجاهات التي أثّرت به من خلال استماعه لوليامز وهي الثقافية والمادية والماركسية والتاريخية واللاهوتية وسبل دعمها للنظرية النقدية التي ساهمت في تغيير طريقة القراءة التي يهدف إليها هذا الكتاب. تبنى وليامز فكرة الثقافة التي تُعتبر المحور الأساس الذي تُبنى عليه كل الدراسات واعتبرها «طريقة الإنتاج في حد ذاتها» وهي التي تنطوي عليها بعض العلاقات الاجتماعية والظروف التاريخية وهذا ما يجب توليه في زمام أمور النقد الأدبي الحديث. على الرغم مما يبدو من نقيض في التعامل عند وليامز في مفهوم التنوع والالتزام نجده يحمل هذه الصفة كواحدة من «نقاط القوة البارزة في عمله» وهي التي من الممكن أن تكون السبب الذي جعل منه وارث النُقاد الأربعة الذين سبقوه وتكمن فكرته أساساً في «أن التنوع والالتزام ليسا في رأيه على أقل تقدير.» إستطاع إيغلتون في نهاية المطاف الخوض في تحليلات الوسائل النقدية التي استخدمها النُقاد الخمسة وبين أنها هي السبب الرئيس في جعل هذا الاختلاف والتغيير في طريقة قراءتنا للأدب. لقد نجح كل من الكاتب والكتاب في نقل الأفكار التعليمية الأكاديمية التي تبناها هؤلاء الأيقونات التي عززت من حصر مفهوم النقد الأدبي داخل إطار الأكاديميا الحديثة.

ربما تعلم إيغلتون من أستاذه ريموند وليامز الكثير بنفس الطريقة التي تتلمذ بها أرسطو على يد أفلاطون. ولكن لم يحد إيغلتون عن مسار وليامز بالطريقة التي حاد بها أرسطو عن أفلاطون؛ وليس في ذلك ما يجعل من إيغلتون أقل شأناً من أرسطو. أرسطو العصر الحديث الذي تجده في كل رف من رفوف المكتبات العربية والأجنبية لابد أن يكون حاضراً في مناهج التدريس العربية أيضا. وبهذا يكون الكتاب في المكتبة العربية له أهمية لكل من الدارسين والقارئين للأدب والنقد الادبي الحديث على حد سواء. وعلى الرغم من ترجمة العديد من كتب إيغلتون إلى العربية لكن تبقى المكتبة العربية مفتقرة لمثل هذا الكتاب الذي يحمل الفكر الفلسفي المُغطى بإطار أدبي أكاديمي صرف.

العنوان: ثورات نقدية: خمسة نُقّاد صنعوا تغييرا في طريقة القراءة

المؤلف: تيري إيغلتون

الناشر: Yale University Press

لغة النشر: الإنجليزية

سنة النشر: أبريل/ 2022

عدد الصفحات: 323

* باحث وأكاديمي عراقي

الأرض المضطربة: المواطنة في عصر الحرب غير المرئية

فيل كلاي

محمد السماك *

كثيرة هي الكتب التي تتحدث عن الحروب ومآسيها، وعن أسبابها ونتائجها. ولكن نادراً ما يتحدث عن الحرب جندي سابق. ونادراً أكثر أن يكون حديثه ليس عن المعارك والمغامرات العسكرية، ولا حتى عن أسباب الحرب وأبعادها سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، إنما عن مشاعر المُقاتل الإنسان أثناء الحرب، وما بعدها. ويتطلب ذلك أن يكون الكاتب جنديًّا شارك في حرب ما باسم دولته، وأن يكون أديباً كاتباً في الوقت ذاته. وهذا ما ينطبق على مؤلف هذا الكتاب الأمريكي. ولذلك ليس غريباً أن يحصل على جائزة "أفضل كتاب وطني في الولايات المتحدة".

قبل هذا الكتاب، صدر للمؤلف كتاب آخر عن الحرب وأهلها. وكان الكتاب عبارة عن اثنتي عشرة قصة صغيرة يروي فيها وقائع الحرب الأميركية في العراق، سجلها الكاتب عندما كان جندياً في القوات البحرية (المارنيز) خلال عمليات ٢٠٠٧-٢٠٠٨ .

وبعد مرور ستة أعوام على صدور هذا الكتاب، صدر للمؤلف كتاب ثانٍ يروي فيه قصصاً عن تهريب المخدرات وعصابات الاتجار بها بكولومبيا في أميركا الجنوبية. وقد جرى اختيار هذا الكتاب بين أفضل الكتب التي صدرت في ذلك الوقت .

ولعل أبرز قصة يرويها المؤلف في كتابه الجديد عن ثقافة الحرب هي قصة اغتيال قاسم سليماني في عام ٢٠٢٠. واستناداً إلى ما أورده من معلومات، فإنَّ الهدف من وراء عملية الاغتيال كان تغيير مجرى الحرب في العراق.

ولأنَّ القاعدة العامة في أي كتاب تقول إن النصّ الأفضل هو النصّ الأقصر، فإنَّ المؤلف حرص في هذا الكتاب تحديداً على الالتزام بهذه القاعدة في التأليف؛ مع ذلك بلغ عدد صفحات كتابه ٢٢٧ صفحة موزعة على ستة فصول، في كل فصل قصة موثقة عن حدث ما .

سبق للمؤلف أن نشر بعض هذه القصص في الصحف الأدبية الأميركية، ونالت قصصه إقبالاً شديداً . ولذلك قرّر جمعها في كتاب واحد. وكانت عملية التجميع تتطلب حياكة خيط يجمع بينها. وما كان ذلك على أديب وكاتب محترف في مستوى فيل كلاي بعسير.

أما هذا الخيط، وكما هو واضح في الكتاب، فإنه يدور حول علامة الاستفهام التالية: ماذا يعني أن تكون دولة في حروب متواصلة ومستمرة وأن يقوم بالقتال باسمها عدد ضئيل جداً من شعبها؟.

يؤكد المؤلف في مقدمة الكتاب على أن الحرب تلعب دوراً رئيساً في تحديد هوية الشعب الأميركي وخصوصياته . ويقول إن سدس موازنة الدولة الاتحادية يُنفق على الدفاع وعلى الإبقاء على جهوزية عناصر القوات المسلحة المنتشرين في ٨٠٠ قاعدة عسكرية حول العالم. ويقول أيضاً إن هذه القوات تخوض حروباً محدودة ضد الإرهاب في خمس وثمانين دولة أخرى، مع ذلك فإن السلطة السياسية تمكنت بدهائها وحنكتها من أن لا تثير اهتمام الرأي العام بهذا الواقع.

فالرأي العام داخل الولايات المتحدة مهموم بقضايا أخرى تشغل اهتماماته تتعلق بتكاليف الحياة وصعوبات العمل والدراسة وتسديد الفواتير المستحقة، كما يقول.

يعرض المؤلف لإحصائية عسكرية - مالية - اجتماعية ملفتة للاهتمام يقول فيها إنه رغم سلسلة الحروب الطويلة التي خاضتها الدولة الأميركية، فإن انعكاساتها كانت محدودة بشكل لا يصدق؛ فالأميركيون - جميعهم - الذين قدموا خدماتهم العسكرية في العراق وأفغانستان وفي أي مسرح حربي أميركي آخر منذ الهجوم الإرهابي في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، لا يشكلون سوى واحد بالمائة فقط من نسبة الرأي العام الأميركي .

بعد ذلك يروي المؤلف انطباعاته وتجاربه العسكرية الخاصة، ويضيف إليها لمسة روحانية إلى جانب خلفية تاريخية؛ ففي فصل عنوانه «تاريخ الإرهاب» (يقول المؤلف إنه كتبه بعد حادثة لاس فيغاس الإرهابية التي جرت في عام ٢٠١٧ وقُتل فيها ٥٨ شخصاً وجُرح أكثر من ٤٠٠ شخص آخر على يد رجل واحد)، لم يكن القاتل يتمتع بأي قدرات استثنائية للتصويب القاتل . كان عليه فقط أن يضغط على الزناد وأن يوجه البندقية الأوتوماتيكية نحو المارة؛ وهكذا كان الأبرياء يتساقطون من دون أن يعرف أي منهم من أين ينهمر الرصاص القاتل ولماذا؟، وهو ما أدى إلى ارتفاع عدد الضحايا نتيجة لفعالية قطعة السلاح وليس لفعالية حاملها.

ويؤكد المؤلف على أن الحرص على تملّك وحمل الأسلحة في المجتمع الأميركي هو نتيجة ثقافة الجموح نحو العسكريتاريا، وأن تملّك الأسلحة الثقيلة (الرشاشات الأوتوماتيكية) من الأفراد بدلاً من الأسلحة الخفيفة (المسدسات) يمكن أن يؤدي، ولقد أدّى بالفعل إلى ما لا تُحمد عقباه .

ويؤكد أنه بدلاً من الاعتماد على قوات الأمن فإن امتلاك السلاح يجعل من كل مواطن رجل أمن يحاول أن يطبّق العدالة على مزاجه، وكما يرى هو ذلك مناسباً من زاوية ثقافته وحساباته وردود فعله الشخصية.

ثم أنه بدلاً من بضع طلقات «تحذيرية» يطلقها رجل الأمن الرسمي فيحاول التحذير دون وقوع مأساة، فإن وابلاً من

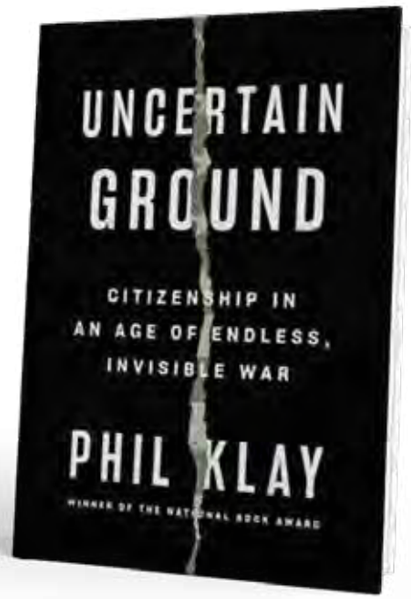

الطلقات القاتلة يطلقها رجل منفرد تؤدي إلى مآسٍ، كما حدث مراراً أمام المدارس أو المجمعات التجارية في العديد من كبرى مدن الولايات المتحدة .

وينقل المؤلف عن مخترع سلاح (أر-١٥) الرشاش أنّه لم يكن يتصوّر أبداً أن يكون هذا السلاح بيد مدنيين؛ فهو قطعة سلاح عسكرية قتالية حربية وليست للأمن الداخلي أو للأمن الذاتي، وليست بصورة خاصة للاستخدام في المدن .

وفي فصل من الكتاب عنوانه « المغامرة المعنوية والعسكرية الحديثة»، يتحدث المؤلف فيل كلاي عن «غياب» الواحد بالمائة من المواطنين الأميركيين الذين يلبسون الزيّ العسكري الرسمي، وعن مشاعر الأسى والندم التي تتملّكهم نتيجة سوء تقدير أعمالهم وتضحياتهم . ويصف ذلك بأنه نتيجة عدم الاكتراث بأثمان الحرب على المعنويات الشخصية وعلى المشاعر الإنسانية .. وهي مشاعر يقول المؤلف إنها بعيدة عن حسابات الآخرين.

وفي فصل آخر عنوانه «رجل الحرب»، يروي المؤلف كيف أن خدمته العسكرية مع سلاح البحرية الأميركية علّمته «الإيمان بالله»، وبالإحساس مع الجماعة. ويقول إن هذا الإحساس تفجّر لدى عودته إلى الجماعة المدنية. ويقول إن هذه المشاعر لا يحسّ بها الناس عادة، بل إنها تتفجّر من داخل معاناة الوحدة والعزل ومواجهة الأخطار .

ومن خلال سرد المؤلف لوقائع حياته في البحرية العسكرية يقول إن المسؤولين يقدمون للجنود كتباً عن ما سمّاهم «القديسين العسكريين» من الرجال والنساء الذين ضحّوا بحياتهم بنيران العدو الذي كان يهاجمهم بالقنابل اليدوية. كما يروي قصصاً عن الحياة الشخصية لزملائه العسكريين وعن الأسرى من رجال العدو الذين يجري اعتقالهم وتعريضهم للتعذيب من أجل استخراج معلومات عسكرية منهم؛ فالحصول على المعلومات يتقدم على الحرص على حياة الأسير.

لا يقدّم المؤلف شيئاً من هذه المعلومات ولا يفسر العلاقة بين القداسة والعسكريتاريا، ولكنه يذهب إلى حدّ اعتبار كل جندي مشروع ضحية، وكل ضحية رمزاً للقداسة.

الكتاب : الأرض المضطربة : المواطنة في عصر الحرب غير المرئية

المؤلف : فيل كلاي Phill Klay

الناشر : بنجوان للصحافة Penguin Press

التاريخ : 2022

الصفحات : 272

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي

سلاسل التوريد الاقتصادية الدائرية: من السلاسل إلى الأنظمة

تحرير: ليديا بالس، ويندي ل. تيت وليزا م. إلرام

حامد عبد الرحيم عيد *

مقدمة ورؤية المترجم:

يعيش العالم حالياً على نموذج ما يسمى بـ«الاقتصاد الدائري» مع حالة من الشفافية وزيادة الثقة عبر سلاسل الإمداد العالمية والتي تحفز على التحكم بشكل أكبر في الموارد، كما أن هناك بعض الاقتصادات التي تتمتع بوجود سلاسل إمداد دائرية يتم عن طريقها اقتسام الأرباح بشكل عادل بين المجتمعات والمستهلكين وغيرهم. هناك أيضا الثورة الصناعية الرابعة التي تشكلت ملامحها في وسائل تكنولوجية مثل «بلوك شين» والذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء والنانوتكنولوجي، وأسهمت جميعها في انتعاش عدد من القطاعات مثل تتبع المعادن من المناجم إلى المستهلكين وتحليل البيانات لاستخدامها في إعادة التصنيع والتدوير. ويتوقع محللون بأن الاقتصاد الدائري، سيكون حالة اقتصادية عادية عام 2030 تهدف إلى تقليل الهدر وخفض استهلاك الطاقة والمواد الخام. وعند المقارنة بما كان عليه الحال عام 2010، فقد كان يتم استخراج مليارات الأطنان من المواد والمعادن سنوياً لتلبية الاحتياجات، لكن ربما يسهم الاقتصاد الدائري في ثورة من التدوير وإعادة الاستخدام.

ويسهم أيضاً في تعظيم الاستفادة من جميع المواد الخام والمعادن والطاقة والموارد بمختلف صورها، فضلاً عن إطلاق عمليات إعادة التدوير والاستخدام وإعادة التصنيع والتطوير، بدلاً من نمط الهدر وإلقاء النفايات. كما أنه يعيد تطوير الأنظمة الصحية والاستهلاكية والتعريف بقيمة الأشياء وأهمية الاستخدام الفعال وتقليل الآثار السلبية الناجمة عن الأنماط الاقتصادية التقليدية، كما أنه يسهم في خلق فرص اقتصادية واستثمارية أفضل للشركات والمؤسسات، فضلاً على المزايا البيئية والاجتماعية؛ فالاقتصاد الدائري لم يعد مصطلحاً وليد السنوات الأخيرة، بل إنه يضرب بجذوره في العالم منذ عقود عند ابتكار مفهوم التدوير وإعادة الاستخدام، وظهر بشكل واضح في الدول الصناعية بعد الحرب العالمية الثانية عندما حاولت الحكومات استغلال التكنولوجيا والآلة في إعادة التصنيع. وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، تصديت ومازلت لنشر رسائل متنوعة عن الحياة الخضراء تعريفًا وتدريسًا وتوعية بها، ومنها مقالات حول التحدى البيئى، والربيع الصامت، وتخضير العقول والقلوب، والفلسفة الخضراء، ومن المهد إلى المهد، والعمارة الخضراء، ومستقبلنا المسروق، ونحو بيئة خضراء بالجامعة. أحسب أن الطريق مازال طويلًا إلا أنه ليس مستحيلًا، فقد شجع عليه اليوم الاتحاد الأوروبى ودول العالم المتقدم.

أما عن مبدأ «من المهد إلى المهد» فهو فكر جديد وضعه باحثان، هما وليم ماكدونو، مصمم معمارى أمريكى، والآخر مايكل برونجارت، أستاذ كيمياء ألمانى، كان لى شرف الحديث معهما «أون لاين» للحصول على حقوق الملكية الفكرية لترجمة كتابهما المهم جدًا، والذى نُشر عام ٢٠٠٢، والذى انتهيت من ترجمته إلى العربية، تحت عنوان «من المهد إلى المهد. إعادة صياغة الطريقة التى نصنع بها الأشياء»، وفيه يدعوان إلى فلسفة صناعية- بيئية جديدة، يحددان أطر ملامحها العامة القائمة أساسًا على تطوير أنماط التصنيع وإدارة منتجاتها.

هنا يمكننا أن نعتبر وبكل راحة ضمير أن كل منتج وسلعة تخرج من مصانعنا اليوم هي موجّهة فى نهاية المطاف نحو مواقع النفايات. المستهلك ليس هو خاتمة السلسلة الإنتاجية التى تبدأ من المادة الخام مرورًا بالمصنع فالمتجر فالمشتري. هذا المشتري ليس سوى محطة (ترانزيت) مؤقتة للسلعة، التى ستواصل مشوارها فى نهاية المطاف نحو سلة المهملات. يستمد هذا الفكر الجديد الذى يتبناه الباحثان «التصميم من المهد إلى المهد» الإلهام من الطبيعة- حيث لا يوجد ما يُسمّى «نفايات» لأنّ النفايات تساوي الغذاء. لقد تمّت صياغة هذا المصطلح فى أواخر السبعينيات «تصحيحًا» لتعبير منتشر فى العالم، وهو «من المهد إلى اللحد»- بحسب أن دورة حياة المنتجات ليست دوريّة حقًا لأنّها مع نهاية استخدامها، تصل إلى مواقع النفايات بعيدًا عن العين والأنف، فتعبير «من المهد إلى اللحد» ليس بالضرورة نتيجة حتميّة للاستهلاك وللنشاط الاقتصادى، ولكن يمكن النظر إليه على أنه مشكلة أساسية فى التصميم والتخطيط؛ فمن شأن التخطيط السليم بموجب قوانين الطبيعة أن يجعل من أضرار الإنتاج والاستهلاك قوة حياتية؛ لأنه يهدف إلى الحفاظ على دورات العمل التقنية والبيولوجية التى لها تأثير إيجابى على صحة الإنسان والبيئة، فبناء نظم اقتصادية تستخدم مواد أمينة، صحيّة ومُغذية، أو موادّ قابلة للتدوير دائمًا، يمكنها أن تُثرى مختلف أشكال الحياة على الأرض.

لم يعد الاقتصاد الدائرى اليوم خيارًا، بل هو ضرورة حتمية، فى ظل تزايد النمو السكانى فى العالم وعدم محدودية نمو الموارد، ولقد ثبت علميًا وعمليًا أن نماذج الأعمال التى تنتهجها تُعد ناجحة ومربحة أكثر مقارنة بالنماذج الخطية، إذا أخذنا بعين الاعتبار التكاليف الخفية للمنتجات، كما أنها ستحفز الابتكار والتصنيع الصديق للبيئة وترشيد الاستهلاك وإعادة التدوير، وإصلاح السلع القديمة وصيانة المبانى والجسور وغيرها من منشآت البنية التحتية مثلما سيؤدى إلى المحافظة على رأس المال الطبيعى، ويخفض تكاليف الإنشاء والتطوير والاستثمار، ويساعد على الابتكار فى مجالات الاستدامة والحفاظ على الموارد.

أما عن كتاب اليوم:

فهو يتحدث عن سلاسل التوريد الاقتصادية الدائرية: من السلاسل إلى الأنظمة..! وشارك فى إعداده نخبة من أساتذة وخبراء الاقتصاد والبيئة ويغطي جميع أدوار المحاكاة الحيوية الأربعة: المنتجين والمستهلكين وجامعي القمامة والمحللين، ويقدم رؤى إضافية مثل البنية التحتية للمعلومات، لربط أنماط الاستخدام الخطي في سلاسل التوريد الحالية نحو الأنظمة الدائرية. في عالم الأعمال، يمكن تمثيل الناشطين من خلال شركات الخدمات اللوجستية العكسية وتجار التجزئة الذين يكدسون / ينقذون، والمحللات التي يمثلها القائمون على إعادة التدوير وشركات معالجة النفايات. على عكس النظم البيئية الطبيعية، تتميز النظم الاقتصادية الحالية بوفرة المنتجين والمستهلكين في نمط الاستخدام الخطي. بالنظر إلى التعميم باستخدام عدسة المحاكاة الحيوية في النظم البيئية الطبيعية، هناك توازن بين المنتجين والمستهلكين وجامعي القمامة والمحللين (بابيت، جاوستاد، فيشر، تشين، وليو، ٢٠١٨ ؛ جينج وكوت، ٢٠٠٢). غالبًا ما تفتقر المنشورات الحالية عند تقاطع الاقتصاد الدائري وبحوث إدارة سلسلة التوريد إلى منظور منهجي.

جاء الكتاب فى سبعة أجزاء وتسعة عشر فصلا بدأت بمقدمة مهمة تتحدث عن متطلبات الاقتصاد الدائري: بعنوان «جانب من سلاسل التوريد إلى أنظمة القيمة..!» وشملت تلك المقدمة حديثا عن التعايش الصناعي: شبكات التوريد الجديدة للاقتصاد الدائري، وتدفقات المعلومات، والتكيف

والظهور في أنظمة التوريد الدائرية. والجزء الثاني جاء بعنوان «دور الإنتاج» وتضمن كيفية تشكيل الانتقال من الخطي إلى الدائري فى سلاسل التوريد وأعطى نماذج عن الاقتصادات الدائرية ونهج الشبكة لتعزيز التعميم والإبداع المشترك للقيمة من وجهة نظر المنتج. والجزء الثالث جاء بعنوان: «دور وأنواع اللوجستيات (العكسية)»، والفاعلون الرئيسيون فيها هم جامعو القمامة والفضلات وعن تأثيرات مواقع إعادة التدوير على الحلقة المغلقة في أداء سلسلة التوريد، ونظرية أصحاب المصلحة وسلاسل التوريد في الاقتصاد الدائري التى يمثلها المستهلكون. وركز الجزء الرابع على دور «المستهلكين» للمستخدم النهائي في تشكيل التعميم لادارة سلسلة الإمدادات بعنوانين: «من نهاية الطريق إلى العقدة الحرجة»، و«تمكين الاقتصاد الدائري». أما الجزء الخامس من الكتاب فقد تحدث عن دور المعلومات والتدفقات المالية من خلال استخدام تقنية البلوكتشين والمراجعة التحليلية لنماذج سلاسل التوريد الدائرية. وفى الجزء السادس تم التطرق إلى دور صناع السياسات، والمنظمات غير الحكومية و محددات الاقتصاد الدائري والمستدام و الحواجز التنظيمية. وينتهى الكتاب بجزء سابع يتحدث عن الدروس المستفادة في الانتقال إلى اقتصاد دائري وجاء فى ٥ فصول غطت مجالات تطبيق الاقتصاد الدائري في قطاع الأغذية الزراعية، ومزرعة فطر حضرية، والسياحة الدائرية، والمشتريات العامة الدائرية من خلال دراسة حالة لإنتاج ملابس العمل وخدمات الغسيل مع إعطاء أمثلة على الاقتصاد الدائري المبتكر ونماذج الأعمال من صناعة الملابس والمنسوجات ودراسة حالة حول عقبات الاستدامة والأزياء الدائرية في البرازيل.

هذا ويتبنى الكتاب منظور الاقتصاد الدائري كمفهوم منهجي من المهد إلى المهد مفاده أن كل شيء مصمم لإعادة استخدامه لأطول فترة ممكنة، ثم يتم استعادته وإعادة توجيهه عندما تصبح إعادة الاستخدام غير ممكنة. يتطلب التصميم لنظام اقتصادي دائري وجهة نظر شاملة ومتكاملة، تغطي جميع جوانب التصميم والتطوير مع مراعاة العديد من الجهات الفاعلة في سلسلة التوريد، بما يتجاوز بكثير سلاسل التوريد التقليدية. كما يتبنى الكتاب نظرة حول المحاكاة الحيوية، مما يسلط الضوء على الحاجة إلى التدفقات عبر الصناعة والحاجة إلى جهات فاعلة مختلفة (بخلاف المنتجين والمستهلكين) في دورات القيمة الدائرية. وأيضا تم مناقشة عوامل التمكين مثل الحوافز والتشريعات.

وبينما توفر المحاكاة الحيوية هيكلًا لتنظيم هذا الكتاب، فإن الفصول الفردية تُبنى على عدسات ومفاهيم نظرية أخرى، مثل نظرية أصحاب المصلحة، وما إلى ذلك. والهدف من ذلك هو تجاوز وجهة نظر ثنائية (المشتري - المورد)، مع تبني رؤية شاملة للشبكة أو النظام البيئي، للنظر في منظور نظام عبر الصناعة، حيث يوجد تنوع من الجهات الفاعلة (التي تغطي أربع مجموعات هي: المنتجون والمستهلكون وجامعو القمامة والمحللون) اللازمة لنظام بيئي عامل. يقدم هذا الكتاب نظرة عامة شاملة على مكونات النظام والجهات الفاعلة، بما في ذلك كيفية إضافة الاقتصاد الدائري للقيمة، ودور المنتجين

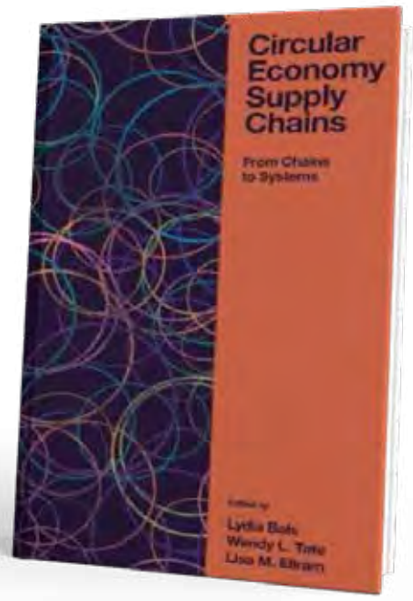

والمستهلكين، وطيف إمكانيات الاسترداد لإعادة المنتجات إلى سلسلة التوريد الاستهلاكية، والدور الأساسي لإدارة المعلومات . بينما تقول معظم الشركات الأمريكية إنها تخطط للانتقال إلى اقتصاد دائري كما ذكر بيتيرز (Peters، ٢٠١٩)، فإن هذا التحول يمثل تحديًا لعدة أسباب بما في ذلك المنتجات التي يصعب تفكيكها (Soufani & Loch، ٢٠٢١). فالاقتصاد الدائري يعتمد على المبادئ الأساسية لتصميم النفايات والتلوث، والحفاظ على المنتجات والمواد قيد الاستخدام، وتجديد النظم الطبيعية (MacArthur Foundation، ٢٠١٩). كما أن الاقتصاد الدائري هو وسيلة مستدامة ومرنة للنمو دون استنفاد المواد الأولية، بناءً على طول عمر المنتجات والخدمة (إسبوزيتو، تسي، وسوفاني، ٢٠١٧). ويتم تقليل النفايات عن طريق إعادة التدوير وإعادة الاستخدام في الحلقة المغلقة، والمعروف أيضًا باسم نموذج «من المهد إلى المهد» (McDonough & Braungart، ٢٠١٠). وهذا يتجاوز إعادة التدوير، والانتقال إلى طريقة جديدة للتفكير في النمو دون زيادة استهلاك الموارد بشكل كبير (إسبوزيتو وآخرون، ٢٠١٧؛ المفوضية الأوروبية، ٢٠١٨). إن الاستخدام النشط والفعال للموارد المحدودة يؤدي إلى تحسين الاستدامة ويتيح المزيد من خلق القيمة (De Angelis, Howard, & Miemczyk، ٢٠١٨). وفي التوجهات العالمية للمستقبل، فقد أنشأ الاتحاد الأوروبي فى عام ٢٠١٧ منصة دعم لتمويل الاقتصاد الدائري توضح الاحتمالات المختلفة لتمويل مشاريع الاقتصاد الدائري حتى عام ٢٠٢٧ (المفوضية الأوروبية، ٢٠٢١). حيث تم توجيه حوالي ٩,٦ مليار يورو لمشاريع الاقتصاد الدائري (المفوضية الأوروبية، ٢٠١٩). وتشير التقديرات إلى أن هناك حاجة إلى ما مجموعه حوالي ٣٢٠ مليار يورو من الآن وحتى عام ٢٠٢٥ لتنفيذ المشاريع التي تضع الاقتصاد الأوروبي على طريق التحول من الاقتصاد الخطي إلى الاقتصاد الدائري (MacArthur Foundation، ٢٠١٧). ففي الاقتصاد الدائري، تتحول ملكية المنتج إلى شراء خدمة، ويتحول النموذج المالي إلى التأجير بدلاً من الملكية (De Angelis et al.، ٢٠١٨) مما يتيح لوجستيات عكسية فعالة وإعادة التصنيع (إسبوزيتو وآخرون، ٢٠١٧). هذه الخصائص تجعل التعاون ضمن حدود الإطار الدائري مهمًا (De Angelis et al.، ٢٠١٨). على الرغم من أن التأجير والوصول يشيران في المقام الأول إلى المنتجات غير البيولوجية (مثل السجاد أو الأجهزة الإلكترونية)، فمن المهم ملاحظة أن كل التدفقات - للمواد التقنية والكتلة البيولوجية - جزء من مفهوم «من المهد إلى المهد» (McDonough & Braungart، ٢٠١٠) وكذلك في نطاق هذا الكتاب.

يقترح باحثو البيئة الصناعية أنه يمكن تصميم شبكات الصناعات على غرار الشبكات الغذائية للوصول إلى حالة مستدامة وفعالة (على سبيل المثال، Frosch، ١٩٩٢ ؛ Frosch & Gallopoulos، ١٩٨٩)، مما يتيح تكون «الحلقات المغلقة» (Korhonen، ٢٠٠١ أ، ٢٠٠١ ب).

إلا أن البحث الحالي يفتقر إلى المنظور الأوسع الضروري للتحقيق في نظام القيم الدائري. تعتبر النظرة الشاملة على هؤلاء الفاعلين ضرورية لتحقيق إدارة متكاملة لتدفقات المواد والمعلومات كعمود فقري مركزي لتحقيق اقتصاد دائري بدورات قيمة دائرية (Tate, Bals, Bals, & Foerstl، ٢٠١٩). وتسلط عدسة المحاكاة الحيوية الضوء على الحاجة إلى مثل هذه التدفقات عبر الصناعة وإلى جهات فاعلة إضافية (بخلاف المنتجين والمستهلكين) في دورات القيمة الدائرية (Tate et al.، ٢٠١٩). ويمكن تمكين تلك التدفقات عبر الصناعات، على سبيل المثال، من خلال قاعدة بيانات المواد التي تسمح بتتبع المواد على مدار دورة حياتها بالكامل، مع إنشاء سوق حيث يمكن للشركات عبر الصناعات أن تكون مصدر مدخلاتها. في هذا الكتاب وبشكل أعم، العوامل التمكينية مثل الحوافز والتشريعات ذات أهمية أيضًا.

لقد كان الهدف من هذا الكتاب هو جذب الأفكار المقدمة في جميع أجزائه، لتحقيق نظرة عامة شاملة وتغطية واسعة للجهات الفاعلة والشروط المسبقة للاقتصاد الدائري. فلم يكن من الضروري أن تركز الفصول على التقليد الحيوي ؛ إذ اعتبرت علاقة الفصول بمجموعة الجهات الفاعلة المعنية (المنتجون، إلخ) أو البنية التحتية للمعلومات المطلوبة في سياق اقتصاد دائري كافية. وهنا تكمن الأصالة والجدة في الجمع بين هذه الأفكار في الوقت المناسب في إطار منهجي مستوحى من الطبيعة.

الكتاب: سلاسل التوريد الاقتصادية الدائرية: من السلاسل إلى الأنظمة

تحرير: ليديا بالس، ويندي ل. تيت وليزا م. إلرام

الناشر: Emerald Publishing Limited
شركة اميرالد المحدودة للنشر

سنة النشر: 2022

*** أستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية**

الاضطرابات: لفهم النظام الجديد للعالم

فرنسوا هولاند

محمد حركات *

فرانسوا هولاند، المولود عام 1954 في روان، هو موظف سامٍ ورجل دولة فرنسي. تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية من 15 مايو 2012 إلى 14 مايو 2017. قبل ذلك، شغل منصب قاضٍ في ديوان المحاسبة ومحامًيا لفترة وجيزة، وانتخب لأول مرة نائبًا برلمانيا في عام 1988. وشغل منصب السكرتير الأول للحزب الاشتراكي من 1997 إلى 2008، خلال التعايش الثالث، ثم في المعارضة. على المستوى المحلي، تحمل عمدة مدينة تول من عام 2001 إلى عام 2008 ورئيس المجلس العام لكوريز من 2008 إلى 2012. عينه الحزب الاشتراكي مرشحًا في الانتخابات الرئاسية لعام 2012 بعد الانتخابات التمهيدية اليسارية، وانتخب رئيسًا للدولة ضد الرئيس المنتهية ولايته آنذاك نيكولا ساركوزي بنسبة 51.6٪ من الأصوات في الجولة الثانية. تميزت فترة رئاسته بزيادة الضرائب، وبالتوجه الاجتماعي الليبرالي (ميثاق المسؤولية)، وبإصدار قانون زواج المثليين، وعقد مؤتمر باريس حول المناخ، وتنامي سلسلة التدخلات العسكرية (في مالي وجمهورية أفريقيا الوسطى والشرق الأوسط)، فضلا عن تفاقم أزمة الهجرة في أوروبا وإعلان حالة الطوارئ في أعقاب عدة هجمات إسلامية في فرنسا.

وفي مواجهة نوايا تصويت منخفضة للغاية وخطر الفشل في الانتخابات التمهيدية في اليسار، تخلى عن الترشح لولاية ثانية، والتي كانت الأولى في عهد الجمهورية الخامسة. لقد تراجع في انتخابات ٢٠١٧، ولم يدعم مرشح الحزب الاشتراكي، بينوا هامون. بعد رئاسته، امتنع عن شغر منصب في عضوية المجلس الدستوري - الذي له الحق فيه مدى الحياة - ولم يشغل أي ولاية أو وظيفة بارزة بعد ذلك، لكنه ظل حاضرًا في النقاش العام والحياة السياسية.

من أهم مؤلفاته يمكن ذكر : «تغيير القدر»، ٢٠١٢،»دروس القوة»، ٢٠١٨، «مواجهة»، ٢٠٢١.

في كتابه الجديد «الاضطرابات : لفهم النظام الجديد للعالم»، يرى، بصفته الممثل والشاهد على عقد كامل من الاضطرابات،كرئيس للدولة لمدة خمس سنوات ثم كمراقب مستنير أنه في غضون عشر سنوات الأخيرة ٢٠١٢-٢٠٢٢ تغير العالم. فالديموقراطية، التي بدت وكأنها تتقدم بشكل حتمي، أصبحت الآن في موقف دفاعي. التقدم والتماسك الاجتماعي، الذي بدا متينًا، يمر الآن بأزمة. الحرية، التي اعتقدنا أنها غير قابلة للتغيير، تجد نفسها مُقوَّضة. السلام، الذي كنَّا نظن أنه تأسس في أوروبا، انهار بسبب العدوان الروسي على أوكرانيا، مكرسًا هذا التغيير في العصر.

ويذكر الكاتب بالهزات البنيوية التي عرفها العالم في مواجهة الأزمات السياسية وتكريس قيم الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية والناجمة عن تسلط الأنظمة الفاشية ونهاية الحرب الباردة وإنهاء الاستعمار والصدمات الطاقية في الثمانينيات من القرن الماضي، وكذا التهديدات النووية والدور البارز الذي لعبه دركي العالم، الولايات المتحدة الأمريكية وفضائل العولمة والثورة التكنولوجية، فضلاً عن مواجهة صدمة أحداث ١١ سبتمبر والإرهاب والتغير المناخي. ومازالت هناك مخاطر وتهديدات عديدة تواجه الكون والمتمثلة في عدم نجاعة قدرة السياسات المتبعة في مجال البيئة والآثار السلبية للعولمة وظهور ملامح الهوية وردود الفعل القومية في كل مكان وبأشكال مختلفة .

كيف وصلنا إلى هنا ؟ ما هي الأحداث والشخصيات والاتجاهات التي تفسر هذه التغييرات الجديدة؟ ما هو منطق اضطراب الأزمات والعنف؟ من هم أعداؤنا وحلفاؤنا وشركاؤنا في هذه اللعبة التي تُلعب على نطاق كوكبي؟ ما هي نقاط قوتنا ولكن أيضًا معوقاتنا، المكونة من انقسامات داخل مجتمعاتنا ونقص في الوضوح في مواجهة التحديات؟ ما هي التغييرات الرئيسية التي يتعين علينا تحقيقها بدافع الضرورة، من أجل استقلال طاقتنا، وخلاصنا المناخي؟

ويسعى الكتاب بناء على طرح هذه الإشكاليات لتقديم تشخيص علمي للمساعدة على فهم العالم الجديد ولفتح السبل الكفيلة التي تسمح بصد التهديدات، والتغلب على التحديات، والسماح لفرنسا بشق طريقها في هذا العالم المتغير بسبب اضطرابات القرن الحادي والعشرين.

وعليه، يحرص الكاتب على ضوء تجربته أن يدعو إلى الاستعداد في هذا القرن الخطير الذي قد تصبح فيه بلده هدفا للحكام المستبدين لتبني مسار جديد في العمل لمواجهة مختلف التهديدات الجديدة، والتي تجبرها على مراجعة استراتيجيتها وتغيير سياستها وإصلاح مجتمعها واقتصادها وإعادة التفكير في مستقبلها وأمنها.

واعتبارا، لما عرفه العالم من تغيير في كل شيء في غضون عشر سنوات حيث اهتز الموقف المهيمن للأنظمة السياسية الغربية، إلى جانب السلام الأوروبي وتوازن العالم. فما هي هذه التغييرات التي طبعت عقد ٢٠١٢-٢٠٢٢ ؟

في القسم الأول من الكتاب يعمل المؤلف إلى تحديدها في أحد عشر عنصرا هي كالتالي : الأعداء الجدد، وانسحاب الدرك الأمريكي من المنظومة(٢٠١٣)، واغراءات الامبراطوريات ٢٠١٤، والوعي بالكارثة ٢٠١٥، والموجة السيادية٢٠١٦، وإمبراطورية GAFAM ٢٠١٧، وعودة الذرة ٢٠١٨، وصحوة أوروبا ٢٠١٩، وسير العالم في طريق مسدود ٢٠٢٠، وفشل المبشرين المسلحين ٢٠٢١، والحرب في الداخل ٢٠٢٢.

وبصفة خاصة، يمثل بروز التحالف الكبير والعميق للأعداء الجدد للغرب (٢٠١٢) والمتمثلة في القادة الروس والصينيين أهم متغير بارز عرفه العقد والذي يتميز حسب اعتقاد الكاتب باتجاه ضد الديمقراطية الغربية . فهذا التحالف العظيم والمتين مكّن من مقاومة الأزمات، مثل أزمة جائحة كوفيد-١٩ التي كان يمكن أن تجعل الصين تتعثر، أو الحرب في أوكرانيا التي كان من الممكن أن تعزل روسيا. فالقادة الروسيون لا يرفضون انحدار بلدهم ولا يترددون في التلويح بالحضارة والقيم. ولا يقفون في توطيد سلطتهم وتوسيع نفوذ الإمبراطورية الروسية الجديدة في طور التكوين. وعلى نطاق أوسع، يعتقد بوتين أنه يجب على روسيا استعادة دورها العالمي، وأنه يجب عليها تحديث أداتها العسكرية بشكل عاجل، وأنه لم يعد بإمكانها البقاء سلبيًا في الشرق الأوسط أو في إفريقيا، وأنه يجب عليها التوقف عن السماح للغربيين بالسيطرة على المنظمات الدولية. في السنوات التي تلت ذلك، كان يستخدم حق النقض بشكل منهجي ضد جميع المبادرات القادمة من الولايات المتحدة - وحتى من فرنسا - داخل مجلس الأمن، كلما هددوا ديكتاتورًا ما، سواء في سوريا أو في السودان أو بورما أو فنزويلا أو نيكاراغوا. تنطبق هذه الحماية أيضًا على كوريا الشمالية وإيران. أي شيء خارج النطاق الغربي يستحق دعمه، وحقوق الإنسان لا علاقة لها بتفكيره الساخر أو بما يعتقد أنه في مصلحة روسيا. وينبغي ذكر التحالف العميق والقوي لهذا البلد مع الصين الذي بعد عشرين عامًا من انضمامها إلى منظمة التجارة العالمية، ضاعفت ثروتها للفرد بمقدار عشرة أضعاف. لقد أصبحت المصدر الرئيسَ للسلع على هذا الكوكب (حصة سوقية ١٦٪ مقابل ١٥٪ لأوروبا و ١٠٪ للولايات المتحدة). إنها تزن، من حيث

الناتج الداخلي الإجمالي، أكثر من منطقة اليورو ويتوقع أن تتفوق على الولايات المتحدة قبل عام ٢٠٣٠. وأمام هذا النجاح الاقتصادي والتكنولوجي والاجتماعي تسعى الصين الى التزويد بأول جيش في العالم، برًيا أو بحريًا اعتبارا للإهانة التاريخية التي عاشتها في منتصف القرن التاسع عشر في أفق، مواجهة النفوذ الأمريكي لتصبح، بحلول عام ٢٠٥٠، القوة الاقتصادية الرائدة في العالم.

ومن هناك بدأ النظامان الاستبداديان العظيمان يشقان طريقهما، من خلال تشكيل تحالف، هجومًا مضادا، كل على طريقته الخاصة. ومن الواضح أنهم مختلفون ومتباينون وأحيانًا متنافسون. لكنهم يشتركون في نفس الكراهية التي تكمن في الغرب الذي يريدون إضعافه وقمعه، وفي الديمقراطية التي تؤدي، حسب رأيهم، إلى انحلال وتفكك الأمم. لقد وضعوا الهوية، روسية أو صينية، كمبدأ عدواني ومطلق. إنهم يتبنون نفس الأساليب: الخوف من الداخل، والهيمنة على الخارج، واللين أو القسوة حسب الظروف. يعتقد شي جين بينغ وفلاديمير بوتين أن الوقت يعمل لصالحهما، ما دامت قوتهما لا حدود لها-زمكانيا - حيث تم إبرام اتفاق بينهما يتجلى في جميع الموضوعات وفي جميع القارات. وفي تطابق تام في مجلس الأمن. وإذا حدث هناك اختلاف في وجهات نظرهما، فلا يتم التعبير عنها. كلاهما لديه نفس الرغبة: هزيمة الولايات المتحدة، وإقناع أوروبا والشرق الأوسط، ثم التأثير على أفريقيا، والسيطرة على المضائق والبحار.

ورغم ذلك، يلاحظ تراجع ملموس في الولايات المتحدة وتحول استراتيجي للدرك الأمريكي في التدخل في الحروب الخارجية؛ وذلك انطلاقا ولأول مرة أثناء الحرب السورية منذ ولاية باراك أوباما الذي، باسم الواقعية، كان يمثل تطلعات مجتمع أمريكي سئم من التدخل الخارجي وحرص على استعادة النمو والازدهار. حيث استند وتمسك بهذا المبدأ التأسيسي جزئيًا منذ انتصاره في عام ٢٠٠٨ والذي ميز سياسته بالكامل. وكان حذرًا من أي شيء يمكن أن يجر الولايات المتحدة إلى تدخلات خارجية مليئة بالمغامرات، واعتبر أن التحديات التي تواجه الولايات المتحدة تتركز الآن في منطقة المحيط الهادئ. ومن ثم فقد أشرف على هذا التحول الاستراتيجي للولايات المتحدة، ثم عززه دونالد ترامب بأسلوب مختلف، وبعده جاء بايدن بالتأكيد.

والواقع أن مختلف التدخلات الأمريكية، في تحرير الكويت أو في العراق وأفغانستان، أدت إلى صراعات لا نهاية لها وشجعت على صعود الإرهاب وتدهور صورة الولايات المتحدة في العالم. وفي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية منشغلة بإشعال الحروب في العالم كانت الصين تبني اقتصادها وإعادة التفكير في دعم قدراتها الجيو-استراتيجية والجيو-اقتصادية كبلورة مشروع ومبادرة «الطريق والحزام».

وأخيرًا، اختفاء المخاوف المتكررة بشأن إمدادات النفط والغاز، والتي دفعت واشنطن منذ فترة طويلة إلى مراقبة الوضع في الخليج عن كثب قدر الإمكان، منذ أن أدى استغلال رواسب الغاز الصخري إلى جعل الولايات المتحدة مكتفية ذاتيًا في الوقود الأحفوري، سرعان ما جعل الاتجاه في أمريكا يكمن في تفويض يريد للأوروبيين إدارة الأزمات التي أثرت على أمن قارتهم. كل شيء تغير في الواقع، مع الانسحاب أمريكي: الإرهاق العسكري، ونضوب الميزانية والتحول الكوني للولايات المتحدة. ومع ذلك، فقد اكتشفت في سياسة بايدن الخارجية المزيد من علامات الاستمرارية أكثر من عناصر القطيعة مع أسلافه، وبدوره تبنى استراتيجية الانطواء التي نفذها دونالد ترامب حين رفع شعار «أمريكا أولا»، على سبيل المثال بسحب القوات الأمريكية من أفغانستان. ويتضح غياب اتخاذ مبادرات بشأن العالم العربي والقضية الفلسطينية والتمسك بالمواقف الإسرائيلية من القضية الفلسطينية والتطبيع مع دول الخليج. وهذا التوجه سمح للصين بمواصلة تموضعها في أفريقيا وفي أمريكا اللاتينية. وعلى الرغم من اتجاه أمريكا إلى أوروبا في مساندة أوكرانيا ضد الهجوم الروسي من خلال الدعم العسكري والعتاد وممارسة أوروبا الحرب بالوكالة، والذي اعيد تأكيده لصالح الأزمة الأوكرانية، له أيضًا بعض الدوافع الخفية: توقف شحنات الغاز الروسي يجبر الأوروبيين على التحول إلى استيراد الغاز المسال المنتج في الولايات المتحدة ؛ علاوة على ذلك، اتجه الأوروبيون إلى تخصيص المزيد من موارد الميزانية للدفاع مما ينعش الطلب على المعدات العسكرية الأمريكية، وبالتالي تكون الجهود الأمريكية في المحيط الهادئ قادرة على الانتشار دون عقبات كبيرة .

جو بايدن مقتنع أيضًا بأن الأمر متروك للأوروبيين لتنظيم أنفسهم ولتنسيق جهودهم الدفاعية وتكثيفها؛ حيث حصل، في غضون أسابيع قليلة، على ما فشل أسلافه في تحقيقه خلال عدة عقود: إعادة تأهيل الناتو، وتوسيعه ليشمل دولًا محايدة حتى الآن وجيران روسيا، مثل فنلندا والسويد، وإحياء «إعادة التسلح الألماني» .

في الواقع تظل الولايات المتحدة القوة العسكرية الأولى في العالم: تصل ميزانية الدفاع الأمريكية إلى ٨٠٠ مليار دولار، أو ٤٠٪ من إجمالي الإنفاق العسكري على الصعيد العالمي، وتمثل حصة الصين ١٤٪ فقط وروسيا تزيد قليلاً عن ٣٪. وينطبق الشيء نفسه على سباق التسلح النووي حين تنفق الولايات المتحدة ٤٤ مليار دولار على ذلك، أي أربعة أضعاف ما تنفقه الصين أو روسيا. ولا يزال النقص هائلاً، حتى لو ثمنت روسيا جهودها العسكرية لمدة عشر سنوات بعائداتها من النفط والغاز أو رفعت الصين ميزانيتها بنسبة ٢٧٠ ٪ تظل الولايات المتحدة الجيش الرائد في العالم، لكنها قوة متقهقرة جيواستراتيجيا، الشيء الذي يفتح الباب على مصرعيه لزعامة الكون أمام قوى جديدة أخرى، بسبب الافتقار إلى القيادة والتعددية الفعالة البديلة؛ حيث أصبح العالم،والحالة هاته، أكثر غموضًا ولا يمكن التنبؤ به. وضمن هذه اللعبة المعقدة والخطيرة، فإن الأوروبيين هم أول من يتعرض للهجوم والحرب مشتعلة اليوم في عقر دارهم .

لذلك يلاحظ، في القسم الثاني من الكتاب،مدى الأهمية الكبرى التي يوليها الرئيس هولاند، لمواجهة كل التهديدات الخارجية والداخلية على السواء للعالم الغربي من خلال الحرص الشديد على دعم القيم الديمقراطية والمواطنة الحقة، في خضم الأزمات والكوارث والحروب التي يعرفها مقابل التمدد الصيني،البلد المستفيد أكثر من فضائل العولمة؛ وذلك من خلال توفير بوصلة لاستشراف المستقبل عبر إعادة التفكير في بناء عقيدة جديدة لأوروبا تدخل ضمنها السيادة الطاقية،عبر جمع ورص الصفوف في حضن الولايات المتحدة الأمريكية وتوسيع حلف الناتو. وهذا رهين بالتزام جديد وبانخراط في قضايا وتحديات العصر الكبرى وبلورة سياسة خارجية جديدة في خدمة القارة وبلدان الجنوب على السواء، وفق أهداف استراتيجية وبرامج محددة ذات أولوية في مواجهة كل الآفات المحتملة.

الكتاب: الاضطرابات: لفهم النظام الجديد للعالم

الكاتب : فرنسوا هولاند

دار النشر : ستوك،باريس

السنة :2022

اللغة : فرنسي

الصفحات : 139

* أكاديمي مغربي

الدير: بنديكت السادس عشر.. 9 سنوات من باباوية الظل

ماسسيمو فرانكو

فاتنة نوفل *

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المُقابلات والشهادات والأسرار التي أسهمت في فهم التيارات التي تشابكت داخل أروقة الفاتيكان، فقد أدت تسع سنوات من التعايش في الفاتيكان بين الباباوات إلى تغيير ديناميكيات السلطة في الكنيسة لينتهي هذا الوضع غير المسبوق بإثارة سؤال حاسم للمُستقبل: إذا كان هناك باباوات فخريون آخرون، فكيف يجب تأطيرهم؟ الحقيقة هي أنه حتى الآن مجالات التأثير الخاصة لِجوزف راتسينغر وفرنسيس بيرغوليو على الأحداث التي تطورت داخل جدران الفاتيكان وخارجه، بدءًا من المُقاومة المتزايدة للتغييرات لجزء كبير ومتفرّع من قبل المؤمنين المقربين للاهوتي راتسينغر الذين وجدوا فيه منارة، وأولئك الذين يناصرون البابا الحالي ويُسَرّعون عمليات التجديد المُستمرة ليدركوا لاحقًا أنَّ هذا التطور أصبح مؤلمًا في كثير من الأحيان.

يركز كتاب فرانكو أكثر على الحديث عن البابا الفخري والعلاقة مع خليفته وبشكل أكثر تحديدًا على الدوائر المعنية من المستشارين والأصدقاء الذين اضطروا أيضًا إلى تكييف السلوكيات والمواقف العامة خلف الكواليس مع حالة غير مسبوقة ومُعقدة بشكل واضح لكي تبدو طبيعية على الرغم من كل شيء.

الدير هنا هو رمز المُعْضِلة في هذه المرحلة من الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان. بنديكت السادس عشر البابا الفخري الذي تغير مفهوم شخصيته بعد تلك الإيماءة التي قام بها مُعلنًا تَنَحّيَه وما نتج عنها من أوضاع شاذة متتالية والتي، بعد تسع سنوات من باباوية فرنسيس، لا تزال قائمة وتؤثر على توازن الكنيسة. الأول: على وجه التحديد اختيار بنديكت للاستقرار في دير الكنيسة على قمة حدائق مشذبة، تنتشر فيها حدائق الورود والصبّار ونقاط الحراسة التابعة لقوات الدرك: أحد أكثر الأماكن غموضًا والتي يتعذر الوصول إليها في ظل قبة القديس بطرس حيث انتقل للعيش فيه في أيار/مايو ٢٠١٣ بعد التخلي عن البابوية. كان لدى البابا الفخري «الجرأة» للنجاة من استقالته؛ مما أثار الشكوك حول الأسباب الحقيقية للقرار؛ لأنه لم يصرح بأنَّه سيكون هناك «البابوية الموازية». ربما كان خائفًا من أن يصاب بمرض مثل يوحنا بولص الثاني وأن يكون مشروطًا بدائرته المختصة، أو ربما كان يعتقد أنه لن يبقى طويلًا على قيد الحياة، بينما أصبح الآن بابا فخريًا لفترة أطول من البابا: ٩ مقابل ٨ سنوات.

ثقَل راتسينغر -على الرغم من أنه لم يعد مسيطرًا- كثيراً ما طغى على خليفته لدرجة جَعْلِ الدير الذي يعيش فيه مكانًا مرجعيًّا للأشخاص الذين لا يتفقون مع فرنسيس. بمرور الوقت، نشأ نوع من «لوبي البابا الفخري» على الرغم من أن بنديكت شخصيًّا لم يرغب أبدًا في تشجيع الأمر.

أخذ الدير الذي يعيش فيه راتسينغر كذلك وبشكل متزايد ودون رغبة أو طلب منه، دورَ المضاد للصواعق والتوترات والحصارات التي تهدد بابوية فرنسيس، والفقاعة الشعبية التي اتشرت من حوله، وهو التوليف الجيد الذي أجراه ماسيمو فرانكو من خلال قراءة مفصلة وموضوعية للتأثيرات الناتجة عن هذين القطبين ما بين الإصلاحات الحكيمة والفوضوية إلى حد ما والتغييرات الجوهرية.

من ناحية أخرى، في فندق سانتا مارتا داخل أسوارالفاتيكان اختارالبابا فرنسيس مقر إقامة رسميًّا له والذي تبلور إلى مركز قوة شبيه بالمحكمة يتردد عليه الأصدقاء القدامى، اليسوعيون المقربون في الفاتيكان يسمونه «الدائرة السحرية»؛ لأنها قادرة على التأثير على فرانسيس وعزله في آن واحد.

إنهما شخصان مختلفان تمامًا وكلاهما يدرك الصدمة التي تعرضت لها الكنيسة باستقالة بندكيت، وبالتالي فهما عازمان على الحفاظ على وحدة الكنيسة. لهذا السبب، طلب فرنسيس في البداية من بنديكت ألا يكون منعزلًا جدًّا للمشاركة في الاحتفالات العامة، ثم وضع نوعا من «كوباباتو» الباباوية المشتركة، تحرك فيها البطلان بسهولة غير معهودة مع وجود نوع من الرضا المتبادل والرضا عن النفس لأنهما نجحا في دوائرهما ومع «أنصارهما» في السير في هذا الطريق الجديد المعقد للفاتيكان والكنيسة على الرغم من أن «حاشية» راتسينغر وبيرغوليو هما مرآة لفكرتين، ومفهومين متناقضين للكنيسة الكاثوليكية في مواجهة تحديات عالم اليوم. لكنهما أيضًا وقبل كل شيء، مركزان للقوة يواجهان بعضهما البعض على مسافة بضع مئات من الأمتار.

قام فرنسيس بمتابعة الإصلاحات التي لم يتمكن بنديكت من إتمامها. لكن بمرور الوقت، عندما واجهت الإصلاحات مشكلة، اعتبرت دائرة برغوليو الديرعائقًا وتدخلات بنديكت غير مناسبة. وفي النهاية، كان ينظر رجال بيرغوليو إلى الدير على أنه رمز لنوع من القوة المضادة، أو قطب مضاد تتحرك خلفه سلسلة تقليدية قوية. وقد اعتبر العديد من أتباع راتسينغر فندق سانتا مارتا بمثابة نوع من الحلف، لم يغير فقط ميزان القوى بل النهج العقائدي والمراجع الدبلوماسية التقليدية للكرسي الرسولي. وهذا على الرغم من أنه يجب إعادة التأكيد على التزام «الباباوين» بتجنب الكسور والصدامات الداخلية.

الكاردينال غيرهارد مولر، محافظ مجمع الإيمان حتى عام ٢٠١٧ وتمت تنحيته لإفساح المجال لليسوعي لاداريا، المؤهل لاهوتيًّا بنفس القدر، ولكنه بالتأكيد أكثر مرونة ومستعد لإيجاد حلول وسط، أوضح أن المشكلات المطروحة على الطاولة قد تراكمت في السنوات الأخيرة بسبب هذا الانقسام، بدايةً من الانقسام في الكنيسة في ألمانيا، حيث توجد مجموعة من التقدميين الذين يسيرون على طريقتهم الخاصة

ما يزيد من احتمال الانشقاق هناك. يعرّف مولر كذلك «الدائرة السحرية للبابا» بـ «الدائرة الخطرة»، الناس الذين يفكرون سياسيًا وليس لاهوتيًا لا يعرفون شيئًا عن المجلس؛ دفعوا فرنسيس إلى إلغاء لقب نائب المسيح من الكتاب السنوي البابوي وتحويله إلى لقب تاريخي لا قيمة له.

يكرر مولر أن السلطة التعليمية البابوية لا يمكن أن توجد بدون لاهوت عميق ومستشارين جيدين. يتحدث الكاردينال الألماني أيضًا عن الهجرة كما يفعل علم الاجتماع. «الرعاية البابوية الحقيقية بالمعنى اللاهوتي هي الوعظ بالإنجيل والاحتفال بالأسرار المقدسة وإرشاد الناس في مشاكلهم اليومية».

لا يتورع مولر عن القول عن حقيقة أن العدالة في الفاتيكان أصبحت الآن شيئًا مرنًا ولم تعد تخضع لقانون: مثل مراسيم محاكمة كاردينال في الفاتيكان بعد أن قرر البابا بالفعل العقوبة قبل الحُكم بنزع رتبة الكاردينال عنه؛ مؤكّدًا أن عقلية أمريكا اللاتينية تشوه معيار القانون الأوروبي. في أوروبا تم تقسيم السلطات، لكن مهما حدث، سواء عُقدت المحاكمة أم لم تعقد، وسواء تمت تبرئته أو إدانته، فإنّ السموم والوحل سيصلان إلى الكنيسة.

التنحي أو «الاستقالة»، كان حدثًا مهمًا وغير مسبوق من أجل تعيين البابا فرنسيس. الدير هو شعار لا يزال يُعتبر من المحرمات: لدرجة أنه بعد تسع سنوات، لم يتم تنظيم استقالة البابا بأي قانون ولا يزال هناك حديث عن «اثنين من البابا‌وات» ولم يتم الاعتراف بصحة استقالة بنديكت وتم اتهامه بترك مساحة كبيرة لفرنسيس و«ثورته». في الواقع، قام كلاهما بإلغاء مركزية المؤسسة البابوية بطرق مختلفة.

لقد غيروها بمعنى «إضفاء الطابع الإنساني» على البابا مع نتائج مثيرة للجدل للغاية ما زالت موضوع نقاش وإحراج. القضية الأساسية التي لم يتم التطرق إليها علنًا، هي ما إذا كانت استقالة راتسينغر هي استقالة أحادية أو سابقة من شأنها أن تمهد الطريق لاستقالات بابوية أخرى. ومع ذلك، فإن الانطباع هو أنه في السنوات القليلة المقبلة ستكون المحاولة لإعادة بناء شخصية بابوية على افتراضات مختلفة لتقوية حكومة الفاتيكان ولإعادة التأكيد على الدور الأساسي لروما.

ومع ذلك، فإنّ قصة البابا‌وات كانت علامة على التعاون والتفاهم الشخصي المتبادل الذي لا يبدو واضحًا، مع

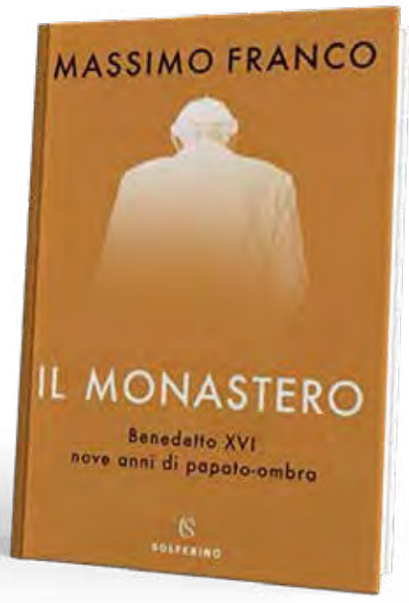

الأخذ في الاعتبار الاختلاف الواضح بين الاثنين، في تعايش استمر لفترة طويلة.

تَعايُش كان على الألماني والأرجنتيني أن يبتكراه كل من وجهة نظر شخصية ولاهوتية وسياسية؛ لقد مهدوا معًا الطريق لموسم للكنيسة الكاثوليكية وحكومتها المركزية لا يمكن الرجوع عنه. في الواقع، يمكن أن يحدث أن يكون هناك ثلاثة باباوات في الوقت نفسه.

يستخدم اليسوعي الأرجنتيني بذكاء واضح كل قوته في المرحلة الأخيرة من حَبْريّته -التي تتضح من صوره وهو جالس على كرسي متحرك- مع الأخذ في الاعتبار ما فعله سلفه، فعل عكس البابا بنديكت السادس عشر الذي غادر المشهد فجأة في عام ٢٠١٣ ما لم يتح الوقت للكرادلة الأقرب إلى البابا الألماني تحضير خلافة مستمدة من نهجه؛ بينما يستعد البابا فرنسيس على اختيارخليفته، متخيلًا من بعده بابا يتحرك على خطى حبريته. آخر خطوة هي تعيين واحد وعشرين كاردينالًا جديدًا، ستة عشر منهم دون سن الثمانين قادرون على المشاركة في الاجتماع السري المقبل، وبما يتماشى مع تفكيره ومع الكنيسة التي ستصادق على التعيينات، سيكون هناك ثلاثة وثمانون -من أصل ١٣٢ عضوًا في كلية الكرادلة- أمراء الكنيسة على خطى البابا «الذي جاء من بعيد جدًا» وهو قادر على انتخاب من يريده.

يميل الفاتيكان إلى النظر إلى نفسه وتقديم نفسه كمؤسسة تضمن الاستمرارية ويحدث هذا أيضًا عندما تتكيف الاستمرارية مع الأزمنة الجديدة.

البابا بنديكت كان بابا أوروبيًا وإيطاليًا، حاول إحياء الكاثوليكية في الغرب لمن يؤمن بقيمه؛ لكن العملية فشلت. فرنسيس أمريكي وهو ابن لأمريكا اللاتينية التي أصبحت من أرض الرسالات أو يُعْتَقد أنها أصبحت أرضًا تبشيرية، دُعيت لإعادة التبشير بأوروبا والغرب اللذين يُعتبران غير مسيحيين وبدون مستقبل. هذا هو السبب في أن بيرغوليو كان يُنظر إليه على أنه بابا ما بعد الغرب، أوضح وجهة نظره في أمور كثيرة تتعلق بالعالم الثالث؛ وبالتوازي مع العلاقات مع روسيا لرأب الصدع مع الديانة الأرثوذكسية ومع الصين، والاتفاق على تعيين أساقفة، ومشروع الكاثوليكية في آسيا حيث يكافح من أجل اختراقها. لكن العدوان العسكري الروسي على أوكرانيا، أظهر حدود وتناقضات هذه الإستراتيجية حيث مُنِع البابا من ممارسة نشاطه من أجل السلام على الأقل حتى بداية أيار/مايو حيث كان الفاتيكان تاريخيًا سيدًا. كانت كلماته لصالح أوكرانيا واضحة وقوية. وحقيقة أنه خلال شهرين أو أكثر من الحرب لم يتكلم بنديكت مطلقًا، تُظْهِر كيف حتى لو كانت هناك اختلافات في الحكم؛ فقد ساد خط من الوحدة والطاعة لفرنسيس من دير بنديكت؛ لتجنب سوء الفهم والتكهنات في الكنيسة الكاثوليكية بسبب التوترات العميقة وغير المحلولة التي ترافق البابا الأرجنتيني حتى الآن، وأنه كان سيؤيده ويساعده عن قصد ودون أن يطلب منه.

كتاب ماسيمو فرانكو يأخذنا عبر أسرار الدير؛ يروي فيه تطورات التوازن المعجزة بين اثنين من «الباباوات»، تميزت بالتوترات وصدامات القوى. في الخلفية يبقى موضوع استقالة البابا الذي لم يُحَل؛ ليصبح الدير حاسمًا في فك رموز مصائر ليس واحدًا بل اثنين من الباباوات والكنيسة كلها.

الكتاب: الدير: بنديكت السادس عشر، تسع سنوات من باباوية الظل

المؤلف: ماسسيمو فرانكو

دار النشر: سولفيرينو

بلد الاصدار: إيطاليا

لغة الكتاب: الإيطالية

تاريخ الاصدار: نيسان/ أبريل 2022

عدد الصفحات: 288

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا

نادي الرفض: وضع حد لعمل المرأة المسدود

تأليف جماعي

وليد العبري *

يقدم كتاب "نادي الرفض" حلاً مناسبًا لتحقيق المساواة في العمل: تفريغ وظائف المرأة من الأعمال التي لا تحصل على مكافأة. بدأ «نادي الرفض» عندما اجتمعت أربع نساء، سحقتهن قوائم المهام التي لا نهاية لها، للسيطرة على حياتهن العملية. ركضن أسرع من أي وقت مضى، ولا يزلن يتخلفن عن زملائهن الذكور. وهكذا، تعهدن بقول «لا» للطلبات التي أبعدتهن عن العمل الأكثر أهمية في حياتهن المهنية. يكشف هذا الكتاب كيف كانت رحلتهن التي دامت أكثر من عقد من الزمان، والأبحاث الرائدة اللاحقة، التي تظهر أن النساء في كل مكان مثقلات بشكل غير عادل «بالعمل غير القابل للترقية»، وهي مشكلة هائلة يمكننا ويجب علينا حلها.

لدى جميع المنظمات عمل لا يريد أحد القيام به: التخطيط لنقل المكاتب، أو فحص المتدربين، أو الاهتمام بهذا العميل الذي يستغرق وقتا طويلا، أو ببساطة مساعدة الآخرين في عملهم. المرأة، في أغلب الأحيان، تتولى هذه المهام. في دراسة تلو الأخرى، وثقت الأساتذة ليندا بابكوك وزميلاتها في هذا الكتاب أنه يُطلب من النساء بشكل غير متناسب، ويتوقع منهن القيام بهذا العمل. يؤدي عدم التوازن إلى زيادة التزام المرأة وعدم الاستفادة منها، حيث تخسر الشركات الإيرادات والإنتاجية وأفضل المواهب.

يرشدك كتاب «نادي الرفض» إلى كيفية تغيير عبء العمل لديك، وتمكين المرأة من اتخاذ قرارات ذكية بشأن العمل الذي تقوم به. توضح المؤلفات أيضا كيف يمكن للمؤسسات إعادة تقييم كيفية تعيين ومكافأة العمل لتحقيق تكافؤ الفرص. من خلال البيانات الثابتة، والحكايات الشخصية من النساء من جميع الفئات، والتقييمات الذاتية، ومكان العمل للاستخدام الفوري، والمشورة المبتكرة، سيغير هذا الكتاب إلى الأبد المحادثة حول كيفية تقدمنا في وظائف المرأة، وتحقيق العدالة في القرن ال ٢١.

ليندا بابكوك وزميلاتها وليز فيسترلوند، ولوري وينجارت، وبريندا بيسر، هنّ أكاديميات ومسؤولات رفيعات المستوى في الجامعات. أدركت هذه المجموعة الناجحة من النساء أن مخاوفهن المشتركة مع مرور الوقت كانت أعراضا لأخطاء منهجية، وليس من أوجه القصور الشخصية. لقد شكلن «نادي الرفض» للسيطرة على حياتهن العملية، وأفصحن في كتابهن الجديد أسرار رحلة هذه المجموعة التي استمرت اثني عشر عاما.

أولا: لم يتم إنشاء جميع المهام على قدم المساواة. في اجتماعات «نادي الرفض» تحدثن عن جميع مهام عملهن. استغرقت بعض المهام وقتا طويلا، لكنها لا تبدو مهمة جدا لوظائفهن. خدمن في لجنة الموقع، وأجبن على أسئلة الموظفين الجدد، وحللن الخلافات بين زملاء العمل، وقمن بتحرير مواد التوظيف. بدأن في تسمية هذه المهام غير القابلة للترويج، باختصار، «معاهدة عدم الانتشار». تعتبر معاهدة عدم الانتشار مهمة لناديهنّ، ولكنها لن تساعدهن في حياتهن المهنية. كانت المهمة الأولى للنادي هي معرفة ما الذي يجعل هذه المهام غير قابلة للترويج، وقد حددن ثلاث سمات مميزة.

السمة الأولى، لا ترتبط معاهدة عدم الانتشار بشكل مباشر بمهمة النادي وأهدافه التجارية. تركز الشركة الربحية على توليد الإيرادات، لذا فإن أي مهمة تدعم هذا الهدف ستكون قابلة للترويج. وعليه، فإن كتابة اقتراح منحة بحثية سيكون أمرا مرغوبا فيه، لكن كتابة التقرير الأسبوعي للجنة لن يكون كذلك. ستتم خدمة الجامعة والحياة المهنية بشكل أفضل من خلال كتابة اقتراح البحث.

السمة الثانية، معاهدة عدم الانتشار غير المرئية. لن يساعد القيام بالعمل خلف الكواليس إذا لم يعلم أحد أنك قمت بذلك، مثلما أمضت بريندا ساعات في توجيه الموظفين الذين عملوا في أقسام أخرى. ساعد ذلك المؤسسة، لكنه لم يؤخذ بعين الاعتبار في مراجعة أدائها.

السمة الثالثة، يمكن للعديد من الأشخاص تنفيذ معاهدة عدم الانتشار. لقد تم تعيينك لمجموعة المهارات المتخصصة التي تجلبها إلى وظيفتك. يمكن للوري تنسيق الخدمات اللوجستية لعقد مؤتمر، لكن ذلك لم يتطلب تدريبها أو خبرتها، وبالتالي يمكن التعامل معها بشكل أفضل من قبل شخص آخر.

ثانيا، النساء يتحملن العمل المسدود. كنّ يغرقن في عمل غير قابل للترقية، وبدأن يتساءلن عما إذا كانت النساء الأخريات يشعرن بنفس الشعور. هل تقوم النساء عادة بمعاهدة عدم الانتشار أكثر من الرجال؟ أظهرت جميع الأبحاث أنهن لم يكن وحيدات. عبر المهن والصناعات، وجدن أدلة على أن النساء يتحملن عبء معاهدة عدم الانتشار. المهندسون، ووكلاء إدارة أمن المواصلات، وموظفو متاجر البقالة، والاستشاريون، والمعلمون، والمصرفيون الاستثماريون، والمهندسون المعماريون والأكاديميون. في كل هذه المهن، قامت النساء بمعاهدة عدم الانتشار أكثر من الرجال. كان حجم الظلم مدهشا. نظرن إلى معلومات مفصلة حول كيفية قضاء الناس وقتهم في شركة خدمات مهنية، ووجدن أن النساء يقضين ٢٠٠ ساعة في السنة أكثر من الرجال في معاهدات عدم الانتشار. هذا شهر كامل أكثر من العمل غير المأجور.

من أين تأتي كل هذه الساعات الإضافية؟ حسنا، عندما تواجه عددا كبيرا من معاهدات حظر الانتشار، لديك خياران. أولا، يمكنك تقليل الوقت الذي تقضيه في العمل القابل للترقية. هذا ما فعلته ليندا، ودفعت الثمن: كانت أقل إنتاجية، حتى أنها شككت في كفاءتها، وأصبحت غير سعيد بوظيفة أحبتها من قبل.

الخيار الثاني، هو قضاء ساعات إضافية في العمل، وهذا ما فعلته ليزا. لقد اقتطع ذلك من وقتها مع العائلة، وكان يعني أنها عملت لوقت متأخر عدة ليال. هذا خلق الكثير من التوتر والمشاكل الصحية الكبيرة. في كلتا الحالتين، أنت تعاني من الكثير من معاهدات عدم الانتشار؛ لأن كليهما له تكاليف كبيرة: فقدان الثقة، وتآكل الوقت مع العائلة، والتأثير السلبي على الصحة، وركود الوظائف.

ثالثا، الأمر كله يتعلق بالتوقعات. هل ينتهي الأمر بالنساء إلى أداء الكثير من معاهدات عدم الانتشار أكثر من الرجال، لأنهن يستمتعن بهذا العمل؟ أم أنهم أفضل في ذلك؟ الإجابات هي لا. والسبب الحقيقي أكثر تعقيدا. تخيل أنك في اجتماع، ويطلب رئيسك متطوعا لتدوين الملاحظات. ينظر الجميع إلى أسفل أو من النافذة أو إلى هواتفهم. لا أحد يريد الوظيفة. من يصعد إلى

اللوحة ويقول، على مضض، أنهم سيفعلون ذلك؟ أنشأت المجموعة دراسة بحثية تحاكي هذا الوضع ووجدن أن النساء يتطوعن بنسبة ٥٠٪ أكثر من الرجال. مرارا وتكرارا، كانت النساء يطلقن الرصاصة للقيام بالعمل الذي لا يريده أحد. ولكن هذا هو الأكثر إثارة للاهتمام: لقد حدث فقط عندما وضعن الرجال والنساء معا في مجموعة. عندما كان الرجال في مجموعات بمفردهم، بدأ الرجال في التطوع أكثر. هذا يعني أن الرجال يعرفون كيفية التطوع لأداء مهمة غير مرغوب فيها. فهم لا يفعلون ذلك عندما تكون النساء في الجوار. عندما يكون كل من الرجال والنساء حاضرين، يتوقع الجميع (وينتظر) أن تتطوع النساء. لهذا السبب تقول النساء في كثير من الأحيان نعم، لأنهن يعرفن أن الجميع يتوقع منهن ذلك. إذا لم تقل المرأة نعم، فإنها تخاطر برد فعل عنيف، أو الشعور بالذنب لعدم الوفاء بتلك التوقعات.

هذه التوقعات تخلق ديناميكية أخرى. لأننا نعلم أن النساء سيقلن نعم، فإننا نسألهن أكثر مما نطلبه من الرجال. في الواقع، تُظهر دراساتنا أن النساء يُسألن بنسبة ٥٠٪ أكثر من الرجال. تواجه النساء ضربة مزدوجة للتعامل معها لأن، أولا: يخشين أن تؤدي التوقعات المتقلبة إلى عواقب سلبية (لأنها غالبا ما تحدث)، لذلك يقعن في حلقة مفرغة حيث لا يترددن في قول نعم، مما، ثانيا: يدفع الجميع أن يسألوهن مرارا وتكرارا. من السهل أن ترى كيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى الكثير من الأعمال غير القابلة للترقية للنساء.

رابعا: إثقال كاهل المرأة أمر سيئ بالنسبة لها، وسيئ للأعمال التجارية. ليست النساء وحدهن من يعانين عندما يُثقل كاهلهن بمعاهدات عدم الانتشار، بل إن منظماتهن تعاني كذلك. ولكن من خلال تخصيص معاهدات عدم الانتشار بشكل أفضل، يمكن للمنظمات تصحيح عدم المساواة وحتى تحسين عملياتها وربحيتها. وذلك من خلال أولا، يمكنهنّ الاستفادة بشكل أفضل من قوّتهن العاملة. نحن نعرف اختصاصي أمراض الرئة، وهو الطبيب الوحيد في المستشفى الذي يمكنه إجراء عمليات زرع الرئة. هذا الطبيب المتمرس مكلّف أيضا بمسؤوليات إدارية، وكلها تستغرق وقتا. تخيل كم عدد عمليات زرع الرئة التي يمكن أن يقوم بها المستشفى، إذا لم يضطر الطبيب للتعامل مع العمل الإداري غير القابل للترقية؟ يتم التضحية بالمهارات المتخصصة لهذا الطبيب من أجل العمل الذي يمكن لأي شخص تقريبا في المستشفى القيام به، لذلك يمكن أن يؤدي تغيير تخصيص معاهدات عدم الانتشار إلى تحسين الإنتاجية. ثانيا، ينتج عن مشاركة معاهدات عدم الانتشار بين

الموظفين ثقافة تنظيمية إيجابية. قامت تيريزا، مهندسة طيران، بإدارة برنامج إرشادي للنساء في قسمها. الوقت الذي قضته سلبها من دورها الهندسي والإداري. نتيجة لذلك، تم تجاوزها للحصول على ترقية كبيرة. سرعان ما وجدت وظيفة في مكان آخر، وكانت النساء الأخريات غاضبات. ماذا كانت الفائدة من التعامل مع برامج التوجيه، أو مبادرات المعرفة، إذا لم تصل بك إلى أي مكان؟ لقد توقفن عن القيام بكل هذه الأنشطة، مما أدى إلى تآكل الروح المعنوية. سيؤدي الحفاظ على نجاح الموظف مع نجاح المؤسسة، إلى إنشاء قوة عاملة منخرطة وراضية عن عملها. كشركة، سيعني هذا إنتاجية أفضل ورضاء وظيفيا أكبر وتقليل معدل دوران الموظفين.

ثالثا، يسهل مكان العمل المتفاعل جذب الموظفين والاحتفاظ بهم. إن كونك معروفا باسم «مكان جيد لعمل المرأة» يجعل من السهل تحقيق الأهداف وجذب أفضل المواهب. فقدت شركة تيريزا حقيقة أن الموظفين السعداء لا يحتاجون إلى مراعي أكثر اخضرارا.

أما أخيرا، إصلاح المنظمات وليس النساء. تقول الكاتبات لقد نجحنا حقا في قول «لا»، وكنا فخورين بأنفسنا إلى أن وصلنا إعلان مرعب: في كل مرة قلنا لا، كانت المهمة تذهب إلى امرأة أخرى. أردنا أن تتمتع جميع النساء بفرص متساوية للنجاح، ولكن إذا لم يكن قول «لا» هو الحل، فما هو إذن؟ كنا بحاجة إلى حل أكبر يشمل الجميع، من النساء الأفراد، إلى المديرين، إلى القيادة العليا؛ لأن كل واحد منا لديه دور يلعبه في معالجة عبء النساء من معاهدات عدم الانتشار.

يمكنك، شخصيا، حث مؤسستك على التغيير. عندما يطلب شخص ما متطوعا، اقترح أن يتم التناوب على المهمة. عندما طُلب من بريندا تدوين ملاحظات في اجتماع، قالت، «بالتأكيد، سأفعل ذلك اليوم، ولكن من سيفعل ذلك الأسبوع المقبل؟» عندما احتاجت كلية ليزا لمتطوع لكتابة تقرير لجنة الترقية، اقترحت عليهم سحب الأسماء من القبعة. كان الاقتراح عادلا للغاية لدرجة أن الحل توقف. تحدث نيابة عن نفسك أو عن شخص آخر. وكلما زاد عدد الأصوات التي انضمت، كان ذلك أفضل، لأن الجميع قريبا سيكونون على دراية بمعاهدات عدم الانتشار وهذا، في حد ذاته، يمكن أن يبدأ في تغيير المشهد.

بصفتك مديرا، لديك فرصة أكبر لتحقيق التوازن في توزيع معاهدات عدم الانتشار بين جميع الموظفين. ستحتاج إلى حساب دقيق لما يفعله كل موظف (مهام قابلة للترقية وغير قابلة للترقية)، ومقدار الوقت الذي يقضيه فيها. تتبع مهامهم بمرور الوقت، وقم بإرشادهم حتى يعرفوا ما هو قابل للترقية وما هو غير قابل للترقية، وأعد توزيع العمل بحيث يحصل الجميع على حصة عادلة. عندما أدارت لورا مهام اللجنة في مدرستها، قامت بتدوير الأشخاص في المهام وخارجها لموازنة الأحمال لكل من النساء والرجال.

يمكن أن يكون للقادة التنظيميين التأثير الأكبر؛ لأنهم يستطيعون إعادة تصميم الوظائف، بحيث تصبح المهام قابلة للترقية. ألق نظرة فاحصة على معاهدات حظر الانتشار، وحدد تلك التي تؤثر على نجاح مؤسستك، وقم بإدراجها في تقييمات أداء الأشخاص الذين يقومون بها. ضع في اعتبارك المبادرات، وأحداث بناء الفريق وورش عمل تطوير الموظفين. في الوقت الحالي، ربما تكون هذه مهام غير قابلة للترقية، لكنها مهمة بما يكفي لتكون قابلة للترقية. نحن نشجع القيادة على إلقاء نظرة طويلة على هذه المهام، ومعرفة مدى أهميتها في الإنتاجية والروح المعنوية والاحتفاظ بالموظفين. ولحسن الحظ، هذه حلول غير مكلفة يسهل تنفيذها.

الكتاب: نادي الرفض: وضع حد لعمل المرأة المسدود

المؤلف: ليندا بابكوك، وبريندا بيسر، وليز فيسترلوند، ولوري وينجارت

دار النشر: سايمون اند شوستر

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 320 صفحة

* كاتب عُماني

قوة الندم: كيف يدفعنا النظر من الخلف إلى الأمام

دانيال بينك

زينب الكلبانية *

دانيال إتش بينك المؤلف (رقم 1)، وكتبه هي الأكثر مبيعا في نيويورك تايمز، بما في ذلك أحدث كتبه، «قوة الندم: كيف يدفعنا النظر من الخلف إلى الأمام». بيع من كتبه ملايين النسخ حول العالم، وتُرجمت إلى اثنتين وأربعين لغة، وفازت بالعديد من الجوائز. يقول دانيال بينك إن الندم عادة الجميع، وهو إحساس عالمي وصحي للإنسان. وفهم كيفية عمل الندم يمكن أن يساعدنا في اتخاذ قرارات أكثر ذكاءً، وتحقيق أداء أفضل في العمل والمدرسة، وإضفاء معنى أكبر على حياتنا.

بالاعتماد على الأبحاث في علم النفس الاجتماعي، وعلم الأعصاب وعلم الأحياء، يفضح بينك أسطورة فلسفة «عدم الندم» في الحياة. وباستخدام أكبر عينة من المواقف الأمريكية حول الندم تم إجراؤها على الإطلاق، بالإضافة إلى استطلاعه الخاص حول الندم العالمي - والذي جمع أساليب الندم لأكثر من ١٥٠٠٠ شخص في ١٠٥ دُوَل - فإنه يوضح عناصر الندم الأربعة الأساسية التي يشعر بها كل واحد منا. تقدم هذه القوة العميقة رؤى مقنعة حول كيفية عيشنا، وكيف يمكننا إيجاد طريق أفضل للمضي قدمًا.

كما فعل في كتابه الأكثر مبيعًا، يضع دانيال بينك طريقة ديناميكية جديدة للتفكير في الندم ويؤطر أفكاره بطرق واضحة وسهلة المنال وواقعية، مليئة بالقصص الحقيقية عن قوة الندم لدى النَّاس، بالإضافة إلى آلية المضي قدماً لإعادة تصور الندم كقوة إيجابية. يظهر كتاب قوة الندم كيف يمكننا أن نعيش حياة أكثر ثراءً وتفاعلاً.

أولا: الندم عالمي. «لا ندم» نسمعها في كل مكان، في الأغاني الناجحة، وعلى الأوشام، وفي مقابلات المشاهير. تنتشر الرسالة من كل ركن من أركان الثقافة. انس الماضي.. اغتنم المستقبل... تجاوز المر.. تذوق متعة الحياة. الحياة الجيدة لها تركيز فريد (إلى الأمام) وتكافؤ لا يتزعزع (إيجابي).

هذه الفلسفة منطقية، ولكن هناك مشكلة واحدة فقط: إنها خطأ فادح. الندم ليس خطيرا أو غير طبيعي، وليس انحرافا عن الطريق الثابت للسعادة؛ إنه صحي وعالمي، وجزء لا يتجزأ من الإنسان. الجميع نادم. في إحدى الدراسات من الثمانينيات، كان الندم ثاني أكثر المشاعر شيوعًا التي يتم التعبير عنها في المقابلات، بعد الحب فقط. في عام ٢٠٠٨، وجد علماء الاجتماع أنه من بين المشاعر السلبية، كان الندم هو الأكثر خبرة والأكثر قيمة. وفي استطلاع رأيه الخاص لما يقرب من ٤٥٠٠ أمريكي، اعترف ٩٩٪ من الناس أنهم على الأقل يمرون أحيانًا بهذه المشاعر.

الندم هو تجربة إنسانية عالمية. الأشخاص الوحيدون الذين لا يشعرون بالندم هم الأطفال في سن الخامسة، والأشخاص الذين يعانون من تلف في الدماغ واضطرابات تنكسية عصبية، والمعتلون اجتماعيا.

بعبارة أخرى، عدم القدرة على الشعور بالندم - بطريقة ما تشجعه فلسفة «عدم الندم» - ليس علامة على الصحة النفسية. إنها علامة على اضطراب خطير.

ثانيًا: القيام به بشكل صحيح، فإنَّ الندم يجعلنا أفضل. لماذا يصعب التعامل مع الندم ويصعب تجنبه؟ لماذا هو منتشر جدا؟ هل نحن جميعا مشوشون؟ لا. حسنا، على الأقل ليس جميعا. بدلا من ذلك، نحن موصون بالبقاء على قيد الحياة. يجعلنا الندم نشعر بالسوء، لكنه يمكن أن يجعلنا نفعل ما هو أفضل. في الواقع، الطريقة التي تجعلنا نعمل بشكل أفضل؛ هي جعلنا نشعر بالسوء. يظهر نصف قرن من البحث أن التعامل مع ندمنا بشكل صحيح - عدم تجاهله، ولكن عدم الانغماس فيه أيضًا - يحقق ثلاث فوائد على الأقل.

أولا، يمكن أن يشحذ اتخاذ القرار لدينا. في إحدى الدراسات، كان المفاوضون أفضل حالا في التفاعلات اللاحقة، إذا نظروا في ندم المفاوضات السابقة. يمكن أن يساعدنا التفكير في الندم السابق على تجنب التحيزات المعرفية، مثل تصعيد الالتزام بمسار عمل فاشل.

ثانيا، يمكن أن يؤدي الندم إلى رفع مستوى أدائنا في مجموعة من المهام. الأشخاص الذين يندمون على أدائهم في مهام حل المشكلات، يقومون بعمل أفضل في محاولاتهم التالية لحل المشكلات. حتى سماع ندم الآخرين يمكن أن يغير تفكيرنا للأفضل. الأشخاص الذين سمعوا قصة عن امرأة فاتها بفارق ضئيل الفوز برحلة إلى هاواي، لأنها غيرت مقاعدها حصلوا على نقاط أعلى بـ ١٠ نقاط في اختبار القبول في كلية الحقوق.

ثالثا، يمكن أن يعزز الندم إحساسنا بالمعنى والترابط. الأشخاص الذين يفكرون بشكل معاكس في اللحظات المحورية في حياتهم، يختبرون معنى أكبر من أولئك الذين يفكرون صراحة في معنى تلك الأحداث. وبالمثل، عندما يفكر الناس في البدائل الواقعية لأحداث الحياة، فإنهم يواجهون مستويات أعلى من الشعور الديني وإحساسا أعمق بالهدف مما يحدث عندما يروون ببساطة حقائق تلك الأحداث.

يمكن أن تؤدي طريقة التفكير هذه إلى زيادة الشعور بالوطنية والالتزام تجاه المنظمة. باختصار، يمكن أن يجعلنا الندم أفضل من خلال تحسين قراراتنا، وتعزيز أدائنا في مهام حل المشكلات، وتعميق إحساسنا بالمعنى.

أما العنصر الثالث: فيقول دانيال بينك لفهم ما يندم عليه الناس، انظر تحت السطح. بداية من جورج جالوب عام ١٩٤٩، حاول منظمو الاستطلاعات والأساتذة تحديد ما يندم عليه الناس. هل لديهم ندم وظيفي، ندم على التعليم، ندم رومانسي، ندم صحي، ندم عائلي أم ندم مالي؟ ومنذ منتصف القرن العشرين، كانت إجابتهم غير مرضية.

يندم الناس على الكثير من الأشياء. لا مجال يسيطر عليه. لكن الكاتب يعتقد أنه اكتشف اللغز. ما هو مرئي وسهل اكتشافه - مجالات الحياة، مثل الأسرة والمدرسة والعمل - أقل أهمية بكثير من الهندسة المعمارية الخفية للتحفيز، والطموح التي تكمن وراءها. في

دراسته، وجد الكاتب أن الناس يبدون وكأنهم يعبرون عن نفس عناصر الندم الأربعة الأساسية، بغض النظر عن مجال حياتهم.

معظم ندمنا التعليمي والمالي والصحي هو في الواقع تعبيرات خارجية مختلفة عن الندم الأساسي نفسه: فشلنا في أن نكون مسؤولين أو رجال أعمال أو أصحاب سلطة. تحتاج حياتنا إلى مستوى أساسي من الاستقرار.

الصنف الثاني: جرأة الندم. وهي منصة مستقرة لحياتنا ضرورية، لكنها ليست كافية. واحدة من أقوى النتائج في البحث الأكاديمي والنتائج التي توصلت إليها هي أنه بمرور الوقت، من المرجح أن نأسف على الفرص التي لم نستغلها أكثر من الفرص التي حصلنا عليها.

الصنف الثالث: الندم الأخلاقي. يريد معظمنا أن نكون أشخاصا صالحين، لكننا غالبا ما نواجه خيارات تغرينا بالسير في الطريق المنخفض. عندما نتصرف بشكل سيء، أو نتنازل عن إيماننا بخيرنا، يمكن للندم أن يبني ثم يستمر.

الصنف الأخير، قوة الندم بالاتصال. إن أفعالنا هي التي توجه حياتنا، لكن الآخرين يمنحون هذه الأرواح غرضا. تنبع العديد من قوى الندم البشرية من فشلنا في الاعتراف بهذا المبدأ واحترامه. تنشأ قوة الندم على الاتصال في أي وقت نهمل فيه الأشخاص، الذين يساعدون في ترسيخ إحساسنا بالكمال. عندما تتوتر هذه العلاقات أو تختفي أو لا تتطور أبدا، وبالتالي نشعر بفقدان دائم. الندم المؤسسي، والندم على الجرأة، والندم الأخلاقي، والندم على الاتصال، هذه هي النواح الأربعة الأساسية التي يعبر عنها الناس.

رابعا: يقدم العلم طريقة منهجية للتعامل مع ندمنا. إذن، ما الذي يمكننا فعله لتحويل ندمنا الحالي إلى محركات للتقدم؟ يقترح العلم عملية من ثلاث خطوات حسب رأي المؤلف.

أولا، انظر إلى الداخل من خلال التعاطف مع الذات. يبدأ التعاطف مع الذات، الذي ابتكرته كريستين نيف بجامعة تكساس، باستبدال الأحكام اللاذعة باللطف الأساسي. لا يتجاهل أخطاءنا أو يتجاهل نقاط ضعفنا؛ إنه يدرك ببساطة أن عدم الكمال، والوقوع في الأخطاء، ومواجهة صعوبات الحياة هو جزء من التجربة الإنسانية المشتركة. من خلال تطبيع التجارب السلبية، نقوم بتحييدها. يشجعنا التعاطف

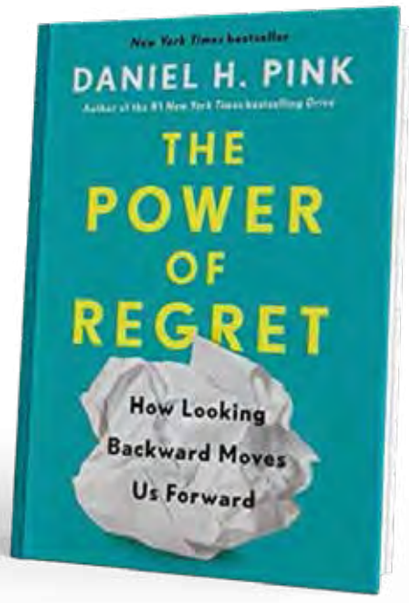

مع الذات على معاملة أنفسنا بلطف بدلا من الازدراء حتى نتمكن من المضي قدما.

ثانيا، عبِّر عن الأمر من خلال الإفصاح عن الذات. غالبا ما نتخبط بشأن الكشف عن المعلومات السلبية عن أنفسنا للآخرين. لكن مجموعة هائلة من الأدبيات توضح أن الكشف عن أفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا من خلال إخبار الآخرين - أو مجرد الكتابة عنهم - يجلب مجموعة من الفوائد الجسدية والعقلية والمهنية. الإفصاح عن الندم يرفع العبء، ومن خلال تحويل المشاعر السلبية غير المتبلورة إلى كلمات ملموسة، نجعل الخطر أقل تهديدا ويمكننا البدء في فهم ما حدث.

ثالثا، المضي قدما من خلال النأي بالنفس. عندما نكون محاطين بمشاعر سلبية، بما في ذلك الندم، فإن أحد ردود الفعل هو أن نغمر أنفسنا فيها، لكن الانغماس في أنفسنا يمكن أن يوقعنا في باطن اجترار الأفكار. النهج الأفضل والأكثر فاعلية والأطول أمدا، هو التحرك في الاتجاه المعاكس - ليس الانغماس في ذلك - ولكن للتصغير والتحديق في وضعنا كمراقب منفصل. يساعدك الابتعاد عن الذات على التحليل ووضع الإستراتيجيات، وفحص الندم دون عاطفة، ثم استخلاص درس منه يمكن أن يوجه سلوكك المستقبلي.

خامسا: توقع أن ندمنا مفيد، لكن هذا الدواء يجب أن يأتي مع ملصق تحذير. غالبا ما نفكر في الأسف من خلال مرآة الرؤية الخلفية، ولكن الأمر يستحق أيضا وقتنا للنظر فيه من خلال الزجاج الأمامي.

غالبا ما يعمل توقع الندم في مصلحتنا. يبطئ تفكيرنا. إنه ينقر على فواصلنا الدماغية، مما يتيح لنا الوقت لجمع معلومات إضافية والتفكير قبل أن نقرر ما يجب القيام به. الندم المتوقع مفيد بشكل خاص في التغلب على ندم التقاعس عن العمل. على سبيل المثال، أظهرت دراسة بريطانية محترمة أن الأشخاص الذين دفعوا إلى الموافقة على العبارة البسيطة «إذا لم أتدرب على الأقل ست مرات في الأسبوعين المقبلين، فسوف أشعر بالندم» انتهى بهم الأمر بممارسة الرياضة أكثر بكثير من الأشخاص الذين لم يمارسوا الرياضة. ندموا على أذهانهم.

غالبا ما يكون توقع ندمنا مفيدا، لكن يجب أن يكون مصحوبا بعلامة تحذير. تتمثل إحدى مشكلات استخدام الندم المتوقع كأداة لاتخاذ القرار في أننا سيئون جدا في توقع شدة مشاعرنا ومدتها، كما أننا غير مؤهلين بشكل خاص للتنبؤ بالندم. قد يؤدي توقع الندم أحيانا إلى توجيهنا بعيدا عن القرار الأفضل ونحو القرار الذي يحمينا كثيرا من الندم.

أفضل نصيحة إذن هي عدم تجنب كل الندم، بل تحسينه. نحن نعلم أن الناس يميلون إلى الندم على نفس الأشياء الأربعة، لذا توقع هذا الندم. افعل كل ما في وسعك لبناء مؤسستك. خذ مجازفة معقولة. افعل الصواب. تواصل. ولكن بالنسبة للندم المحتمل الآخر، هدئ أعصابك. جيد بما فيه الكفاية في كثير من الأحيان.

تتكون حياتنا اليومية من مئات القرارات، بعضها حاسم لرفاهيتنا، والعديد منها غير منطقي. إن فهم هذا الاختلاف يمكن أن يحدث فرقا كبيرا. إذا عرفنا ما نأسف عليه حقا، فإننا نعرف ما نقدره حقا. الأسف - أن المشاعر الجنونية والحيرة والواقعية التي لا يمكن إنكارها - تشير إلى الطريق إلى حياة جيدة.

الكتاب: قوة الندم: كيف يدفعنا النظر من الخلف إلى الأمام

المؤلف: دانيال بينك

دار النشر: ريفرهيد للنشر والتوزيع

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 256 صفحة

* كاتبة عُمانية

إصـدارات عالميـة جديـدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

رحلة جيناتنا: كيف صنعت منا الهجرات ما نحن عليه

المؤلف: يوهان كراوس وتوماس تراب تاريخ النشر: 2022
الناشر: دار أوديل جاكوب. فرنسا عدد الصفحات: 239 صفحة

بفضل التقدم في علم الأحياء القديمة، وهو نظام يسمح بتحليل الحمض النووي الموجود في العظام القديمة، أعاد المؤلفان بناء تاريخ تدفقات الهجرة في أوروبا واستكشاف المزيج الذي جاء منه الأوروبيون. كما حاولا معالجة الأصول المشتركة للغات الأوروبية، وظهور البنيات الاجتماعية ومحاربة البشر للأمراض بشكل أنواعها. إن التقدم المذهل لعلم الأحياء القديمة - تحليل الحمض النووي الموجود في العظام القديمة - يجعل من الممكن إعادة بناء تدفقات الهجرة التي شكلت أوروبا بمرور الوقت. في هذا الكتاب المثير، يتتبع يوهانس كراوس وتوماس تراب رحلة جيناتنا ومن ثم يرويان قصة الشعوب التي صنعت القارة الأوروبية. «نحن أحفاد ثلاث موجات كبيرة من الهجرة. نحن مدينون لهم بالكثير: اللغات، البنيات الاجتماعية، والفنون والتقنيات، وتدجين النباتات والحيوانات، والتراث الجيني للبشر الذين اختفوا الآن (إنسان نياندرتال ودينيسوفان). ولكن أيضًا بالأمراض مثل الطاعون ومسببات الأمراض الأخرى. ملحمة بدأت عندما غامر الإنسان العاقل بالخروج من إفريقيا قبل 200 ألف عام. هذا السرد الجديد جذريًا لتاريخ البشرية المشترك يتحدث أيضًا عن حاجة الإنسان التي لا يمكن كبتها لغزو العالم والتغلب على العقبات. يوضح المؤلفان أن المشاكل التي تقلقنا اليوم، مثل الكارثة المناخية، والأوبئة القاتلة، والصراعات العرقية، وأزمة اللاجئين، وغيرها، قد واجهناها فعلا في الماضي وتأذينا منها و تغلبنا عليها.

هذا كتاب أساسي لمن يريد أن يفهم كيف تمكن علم الوراثة من تسليط الضوء على التاريخ والحركات السكانية والتجمعات الديموغرافية، لأسلافنا منذ العصر الحجري القديم.

أن تكون في مكانك

المؤلف: كلير ماران
الناشر: دار لوبسيرفاتوار. باريس. فرنسا
تاريخ النشر: 2022 عدد الصفحات: 250 صفحة

تتساءل الفيلسوفة كلير ماران عن شعور الإنسان وخضوعه للأمر الواقع والمكان المحدد له، مستعرضة الحالات الوجودية التي تؤدي إلى تبني أنواع من الحياة. كما تدرس مسألة اختيار الأدوار التي يؤديها كل إنسان، وفقًا للقيود والتطلعات الفردية والجماعية. تقول الكاتبة: «في بعض الأحيان يبدأ الأمر بالقلق أو عدم الراحة. نشعر بأننا خارج العالم، نخشى التصرف بشكل غير لائق، يساورنا شعور بأننا «لسنا في مكاننا المناسب». ولكن ماذا يعني أن تكون في مكانك، في عائلتك، في أسرتك، في عملك؟ ما هي الفضاءات الحقيقية أو الرمزية التي ترحب بنا أو ترفضنا؟ هل نحاول احتلال الأماكن المحظورة علينا بسبب جنسنا أو إعاقتنا أو سننا أو أصلنا العرقي أو الاجتماعي؟ وبما يجب علينا تحويل هذه الأماكن من الداخل وخلق أمكنة خاصا لأنفسنا؟ في هذا العمل الرائع والآسر، تستكشف الفيلسوفة الشهيرة كلير ماران الأماكن جميعها التي نحتلها – يوميًا، طوعيًا أو إلزاميًا، وتلك التي فقدناها، وتلك التي نخشى أن نخسرها - متسائلة عن ماهية صياغة الرغبة الشخصية والضرورة الاجتماعية الجديدة. «يبقى أن نرى ما إذا كان سينتهي بنا المطاف جميعًا للعثور على مكاننا المناسب، أو ما إذا كانت سمة المكان ليست بالأحرى سوى التنقل باستمرار، أو نقل أولئك الذين يعتقدون أنهم يستطيعون الاستقرار في مكان محدد سلفا.

اقتصاد تخفيض النمو: تمهل أو تهلك

المؤلف: تيموثي باريك الناشر: دار سويْ. فرنسا تاريخ النشر: 2022 عدد الصفحات: 320 صفحة

الكتاب عبارة عن تأملات في طرائق اقتصاد ما بعد النمو، الذي يعتبر فيه تراجع النمو نموذجا يتجاوز العلاقة الوحيدة بالإيكولوجيا. يحاول الكاتب تفكيك المعتقدات الخاطئة المرتبطة أحيانًا بهذا المفهوم. لا يقترح الكاتب حلولا معجزة للأزمات التي نواجهها، وإنما يقول أن النمو الاقتصادي هو السبب الجذري وراء هذه الظاهرة الغامضة، ولاستجلاء غموضها يعترف الكاتب بأن هناك نظاما اقتصاديا كاملا بحاجة ماسة إلى فهم أفضل وتغيير أنفع.

في هذا الكتاب الهام عن الاقتصاد العالمي الجديد ينبري تيموثي باريك إلى تفكيك واحدة من أعظم الأساطير المعاصرة وهي السعي المجنون نحو تحقيق النمو. يقول الكاتب: «لسنا بحاجة إلى إنتاج المزيد للقضاء على الفقر وتقليل اللامساواة وخلق فرص العمل وتمويل الخدمات العامة وتحسين نوعية حياتنا. على العكس من ذلك، فإن هذا الهوس الحديث بتحقيق التراكم يعيق التقدم الاجتماعي ويسرع الانهيار البيئي». بين المزيد من الإنتاج والتقليل من التلويث، علينا الاختيار. اختيار سهل جدا لأن الاقتصاد يمكن أن يزدهر جيدًا بدون نمو، بشرط أن نعيد التفكير في تنظيمه تنظيما شاملا. هذا الكتاب استكشاف عميق لفضائل تراجع النمو باعتباره مسار انتقال نحو اقتصاد ما بعد النمو.

اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

المعرفة الدينية

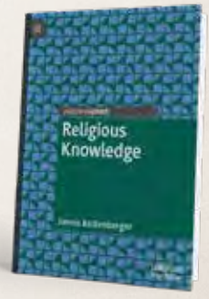

المؤلف: جيمس كالنبيرجر
دار النشر: بالغريف، ماكميلان
سنة النشر: 2022

يدخل هذا الكتاب في صميم فلسفة الدين، وهي المبحث الذي بات اليوم من أشد مباحث الفلسفة ازدهارا. ومدار الكتاب على مكانة المعرفة الدينية في الدين. وفي الكتاب فحص لمفهومي «المعرفة» و«الاعتقاد» الذين عليهما مبنى الكتاب. وقد اختار صاحب الكتاب الموقف القائل: الاعتقاد غير المعرفة. وقام بتسويغ موقفه هذا ذاكرا الدواعي التي تجعل من الاعتقاد إيمانا وليس معرفة أو علما، ومبينا منزلة ذلك التمييز المركزية في الديانات الإبراهيمية. وإذ وقف المؤلف، على وجه الخصوص، على النموذج الإيماني المسيحي، فإنه ذكر أن بعض علماء اللاهوت المسيحيين، ولا سيما منهم القديس توما الأكويني، كان قد قبل بفكرة المعرفة الدينية وسعى إليها، بينما ذهب فيلسوف شأن كيركجارد إلى استحالة التوفيق بين الإيمان والمعرفة. فضلا عن هذا، نجد في الكتاب مواجهة بين نظريتين: واحدة ترى أن من شأن المعرفة الدينية أن تقوّض الإيمان، وأخرى لا ترى بينهما تعارضا.

هدويج كونراد مارتينوس وإديث شتاين: لقاءات فلسفية وانقسامات

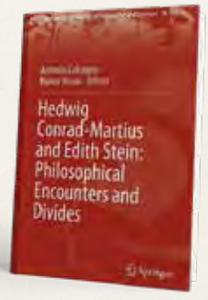

تحت إشراف: أنطونيو كالكانو ورواني ميرون
دار النشر: سبرينجر
سنة النشر: 2022

تكمن قيمة هذا الكتاب، بالنسبة إلى القارئ العربي، في أمرين أساسيين: أولا؛ التعريف بفيلسوفتين من تلامذة هوسرل وأتباع المدرسة الفينومينولوجية لا نكاد نجد لهما ذكرا في المؤلفات الفلسفية العربية: وهما الفيلسوفة الألمانية هدويج كونراد مارتينوس (1888- 1966) مديرة جمعية الفينومينولوجيا الجديدة بميونيخ، وأستاذة الفلسفة الطبيعية والأستاذة الشرفية بجامعة ميونيخ، وصاحبة أزيد من خمسة عشر كتابا في الفلسفة؛ والفيلسوفة الألمانية إديث شتاين (1942 - 1891) صاحبة نظرية هامة في الشعور بالغير وضحية النازية في الحرب العالمية الثانية. وثانيا؛ التعريف بإحدى أهم المدارس الفلسفية في القرن العشرين ـ المدرسة الفينومينولوجية ـ ونقاش فيلسوفتين في شأن طبيعة الروح والفينومينولوجيا وهوية الشخص وفرديته والحياة الحيوانية والطبيعة والكينونة والإله. وقد ائتلف لفيف من أفضل المتخصصين العالميين، في هذا الكتاب، لاستكشاف أوجه التآلف وأوجه التخالف بين الفيلسوفتين.

دليل راوتلدج إلى الأخلاقيات البيئية

تحت إشراف: بنيامين هال وأندرو لايت وليديا لاوهون دار النشر: راوتدلج سنة النشر: 2022

هذا كتاب في مبحث جديد نسبيا من مباحث الفلسفة هو مبحث الأخلاقيات البيئية. وما أحوجنا إليه في زمن صارت البيئة فيه هما إنسانيا جماعيا. وهو مؤلف من «الجوامع» انضوى على 65 فصلا انتظمت في أحد عشر بابا مدارها كلها، تباعا، على الحيوانات والأرض والماء والمناخ والطاقة واستخراجها والمدن والزراعة وتحول البيئة والسياسة البيئية والتدابير المتخذة وأدوات التقنين في شأن البيئة والدفاع عن البيئة وحركات الناشطين البيئيين. ولا يقف هذا المصنف على تباينات مختلف المواقف الفلسفية في شأن البيئة وحسب، وإنما يشترع فوق هذا أبوابا لاستدماج قضايا أخلاقية وتدبيرية في الفلسفة البيئية.